

الفصل الثالث

منهج تفسير قتادة وخصائصه

لقتادة - كما لغيره من المفسرين السلفيين القدماء - أدواته التي استخدمها في التفسير واستعان بها ، وهي أدوات تتباين فيما بينها بين الإسلامية والتاريخية والأدبية والوعظية ... وغير ذلك مما سنوضحه فيما يلي :

١ - التفسير بالقرآن الكريم :

أجمع العلماء على أن « من أراد تفسير الكتاب العزيز طلبه أولاً من القرآن ، فما أجمل منه في مكان فقد فسر في موضع آخر ، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر ... فان أعياه ذلك طلبه من السنة ، فانها شارحة للقرآن وموضحة له ... فان لم يجد من السنة رجع الى أقوال الصحابة فانهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال عند نزوله ... وقد روى الحاكم في المستدرک أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي والتنزيل له حكم المرفوع » (١) .

ولقد كان قتادة من أولئك المفسرين السلفيين الذين التزموا هذه القاعدة الإسلامية المجمع عليها ، فنجده كثيراً ما يستعين بآيات قرآنية ليوضح بها آيات أخرى ، فعندما يفسر قوله تعالى : « هل تعلم له سمياً (٢) » يقول : « لا سمى لله ولا عدل له ، كل خلقه يقر له أنه خالقه ويعرف أنه خالقه ، ويعرف ذلك ، ثم يقرأ هذه الآية : « ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله (٣) » فقد استعان بآية الزخرف ليفسر بها آية مريم . وعندما يفسر قوله تعالى : « ولذكر الله أكبر (٤) » ، يقول : « لا شيء أكبر من ذكر الله : أكبر

(١) الاقتان ١٧٥/٣ - ١٧٦ .

(٢) مريم / ٦٥ .

(٣) الزخرف / ٨٧ .

(٤) العنكبوت / ٤٥ .

الأشياء كلها ، ثم يقرأ : « واقم الصلاة لذكري » (٥) ، مفهما أن أهم عبادة •
وهى الصلاة ، لهى عبارة عن ذكر لله •

وهو يقرن دائما الآيات القرآنية التى تتحدث عن موضوع واحد ، حتى يوفر لتفسيره الوحدة العضوية المطلوبة ، فهو مثلا حينما يتعرض لتفسير قوله تعالى : « وما كنت بجانب الطور » (٦) ، يقول : « وهذا - والله أعلم - أشبه بقوله تعالى : « وما كنت بجانب الغربى » (٧) • وعندما يفسر قوله تعالى : « هذا ما وعدنا الله ورسوله » (٨) ، يقول : « وكان الله قد وعدهم فى سورة البقرة فقال : « أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب » (٩) ، ونلاحظ هنا ، أنه لا يكتفى بذكر الآيتين التى تفسر كل منهما الأخرى فحسب ، بل يربط بينهما برباط قوى من التوضيح والشرح ، فيقول : « هذا والله البلاء والنقص الشديد ، وإن أصحاب رسول الله (ص) لما رأوا ما أصابهم من الشدة والبلاء قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وصدق الله ورسوله » ، ثم لا يترك هذا التوضيح والشرح بدون تعقيب له يزيد هذا الرباط شدة ومتانة ، فيقول : « وما زادهم الا ايمانا وتسليما وتصديقا بما وعدهم الله وتسليما لقضاء الله » •

ونجده أحيانا يأتى بالمعنيين القرآنيين كما يبدو له أن كلا منهما يكمل الآخر ويتممه ، فعندما يفسر قوله تعالى : « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » (١٠) ، يوضح أن حفظ الله للقرآن هو بجعله « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه » (١١) ، فهو يستعين بأية فصلت ليفسر بها آية الحجر ، مبينا أن حفظ الله للقرآن هو حفظ من الباطل ، وأن الباطل فى رايه - هو ابليس ، « فأنزل الله (القرآن) ثم حفظه ، فلا يستطيع ابليس أن يزيد فيه باطلا ولا ينقص منه حقا ، حفظه الله من ذلك » •

(٥) طه / ١٤ •

(٦) القصص / ٤٦ •

(٧) القصص / ٤٤ •

(٨) الاحزاب / ٢٢ •

(٩) البقرة / ٢١٤ •

(١٠) الحجر / ٩ •

(١١) فصلت / ٤٢ •

وعندما يفسر قوله تعالى : « الا ان تاتيهم الملائكة » (١٢) ، يقول : « بالموت » ، ثم يستشهد بأية أخرى لتكامل المعنى ، فيقول : « وقال (الله) فى آية أخرى : « ولو ترى اذ يتوفى الذين كفروا الملائكة » (١٣) ، « وهو ملك الموت وله رسل » . وكذلك يرى قتادة أن قوله تعالى : « ونرثه مايقول (١٤) : هو قوله : « لأوتين مالا وولدا » (١٥) وهكذا يأتى بالآية التى تصدق بين يدى أختها الآية الأخرى ، التى تؤكد معناها وتكمله وتقويه .

وأحيانا نجده وهو يأتى بالآيات المتفقة يجمع المعانى القرآنية المتفقة والواردة فى القرآن ككل ، على طريق الحصر والاستقصاء ، وعلى سبيل المثال نجده حين يفسر « الظن » يقول : « الظن ظنان : ظن منج ، وظن مرد » الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم » (١٦) ، « انى ظننت انى ملائك حسابيه » (١٧) ، وهذا : الظن المنجى ظنا يقينا ، ههنا ، « وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم » (١٨) ، هذا ظن مرد .

وأحيانا نحس فى آتيانه بالآيات المتفقة بزرع من تداعى الذاكرة فهو فى استعانته بالآيات القرآنية دائم التذكير بما يستلزمه المعنى من الاشارة الضرورية لآية أخرى ، فمثلا عندما يفسر قوله تعالى : « ما كان لى من علم بالملا الأعلى اذ يختصمون » (١٩) ، يقول : « هم الملائكة ، كانت خصومتهم فى شأن آدم حين قال ربك للملائكة : « انى خالق بشرا من طين » (٢٠) ، وحين قال : « انى جاعل فى الأرض خليفة قالوا اتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك قال انى اعلم

• (١٢) الانعام / ١٥٨ .

• (١٣) الأنفال / ٥٠ .

• (١٤) مريم / ٨٠ .

• (١٥) مريم / ٧٧ .

• (١٦) البقرة / ٤٦ .

• (١٧) الحاقة / ٢٠ .

• (١٨) فصلت / ٢٣ .

• (١٩) ص / ٦٩ .

• (٢٠) ص / ٧١ .

ما لا تعلمون» (٢١) ، ففي هذا اختصم الملا الأعلى ، *

على أنه وهو فى جملة ذلك كله ، لا يكتفى بمجرد أن يقرن هذه الآية بتلك ، ويفهم أنهما مشتركتان فى معنى واحد أو فى موضوع واحد فحسب ، بل هو يميز بين أوجه الاتفاق بينهما ، وأيضا بين أوجه الاختلاف كذلك ان وجدت ، فمثلا عندما يفسر قوله تعالى : « ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان الا قليلا » (٢٢) ، فيقول : « لاتبعتم الشيطان كلكم » ، فهو يفسر قوله : « الا قليلا » بـ « كلكم » ، ثم يقول : « وأما قوله : « الا قليلا » فهو كقوله : « لعلمه الذين يستنبطونه » (٢٣) ، أى الا قليلا » ، فهو اذن لا يأتى بالآية التى تكون قريبة أو متفقة ويدعها هكذا ، بل هو يثبتهما فى تفسيره بوعى وبعقل ، ويوضح ما تتفق فيه مع أختها ، وما تختلف فيه عنها أيضا . وقتادة يتمتع بملاحظة قوية ثاقبة فى هذا الصدد ، فهو عندما يتعرض لقوله تعالى : « وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم » (٢٤) ، يقول : « افتتح أول الخلق بالحمد لله فقال : « الحمد لله الذى خلق السموات والأرض » (٢٥) ، وختم بالحمد فقال : « وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين » (٢٦) .

وأخيرا ، فاذا كان قتادة فى استعانته بالآيات القرآنية المتفلسة ، يتناول منها ما كان متفقا فى المعنى والموضوع ، فهو أيضا يتناول منها ما كان متفقا فى الأسلوب والنظم ، فهو عندما يفسر قوله تعالى : « أهؤلاء اياكم كانوا يعبدون » (٢٧) ، يقول : « استفهام ، كقوله لعيسى : « أأنت قلت للناس اتخذونى وأمى الهين من دون الله » (٢٨) . كما تبدو مقدرته اللغوية فى ادراكه العلاقة بين قوله تعالى : « واعلموا أن الله يحول بين المرء

• (٢١) البقرة / ٣٠

• (٢٢) النساء / ٨٣

• (٢٣) النساء / ٨٣

• (٢٤) الزمر / ٧٥

• (٢٥) الانعام / ١

• (٢٦) الزمر / ٧٥

• (٢٧) سبأ / ٤٠

• (٢٨) المائدة / ١١٦

وقلبه « (٢٩) ، وقوله عز وجل : « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد (٣٠) ، فيلاحظ صلة شدة القرب فى القولين الكريمين عن طريق حس لغوى وبلاغى أصيل .

وهكذا يقف أمام قوله تعالى : « الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين » (٢١) ، ويقول : « هو نحو قوله : « الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب » (٢٢) ، وفى قوله تعالى : « والأرض مددناها » (٢٣) ، يقول : « وقال (الله) فى آية أخرى : « والأرض بعد ذلك دحاما » (٢٤) ، فهو بحسه البلاغى الأصيل يلمح أوجه التشابه فى النظم بين الآيتين ويشعر بما بين الأسلوبين من اتفاق وقرب وصلة .

٢ - التفسير بالحديث الشريف والحديث القدسى :

ما زال قتادة هنا فى تفسيره على نفس المنوال الاسلامى الذى يفسر بالحديث بعد أن يفسر بالقرآن ، والأحاديث النبوية الشريفة تمثل مساحة كبيرة فى تفسير قتادة ، فهو دائم الاستشهاد بها فى التفسير ، ودائم الاستعانة بها فى التوضيح ، وللحديث فى تفسيره صور كثيرة ، فهو أحيانا يأتى به تاما كاملا ، وأحيانا يأتى به مختصرا ، وأحيانا يأتى بمعناه ولا يلتزم بلفظه ، وأحيانا يأتى بجزء منه هو ما يحتاجه فى التفسير .

فهو عندما يفسر قوله تعالى : « يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم » (٣٥) ، يأتى بحديث شريف يوضح به هذه الآية ، فيقول : « بينما رسول الله (ص) فى بعض مغازيه وقد فاوت السير بأصحابه ، اذ نادى رسول الله (ص) بهذه الآية : « يا أيها الناس اتقوا ربكم ان زلزلة الساعة شئ عظيم » ، فحشوا المطى ، حتى كانوا حول رسول الله (ص) قال : هل تدرون أى يوم ذلك ؟ قالوا : الله ورسوله (ص) أعلم ،

(٢٩) الأنفال / ٢٤

(٣٠) ق / ١٦ .

(٣١) الحجر / ١٨ .

(٣٢) الصافات / ١٠ .

(٣٣) الحجر / ١٩ .

(٣٤) النازعات / ٣٠ .

(٣٥) الحج / ١ .

قال : ذلك يوم ينادى آدم ، يناديه ربه : ابعث بعث النار من كل الف تسعمائة وتسعة وتسعين الى النار : فأبلس القوم ، فما وضع منهم ضاحك ، فقال النبي (ص) : ألا اعملوا وأبشروا ، فان معكم خليقتين ما كانتا في قوم الا كثرته ، فمن ملك من بنى آدم ومن ملك من بنى ابليس ويأجوج ومجوج ، أبشروا ، ما أنتم في الناس الا كالشامة في جنب البعير أو كالرقمة في جناح الدابة » •

فهو هنا يأتي بالحديث تاما كاملا ، كما نجد هذا الحديث عند أحمد والترمذي والنسائي عن قتادة ، فهو حديث سليم موثق ، واذن فقد كان قتادة يأتي أحيانا بالحديث تاما كاملا • ولكننا نجده أحيانا أخرى يختصر لفظ الحديث ، وعلى سبيل المثال : حينما تعرض لتفسير قوله تعالى : « وقال انى مهاجر الى ربى » (٣٦) ، يقول : « نكر لنا أن نبى الله (ص) كان يقول : « انها ستكون هجرة بعد هجرة ، ينحاز أهل الأرض الى مهاجر ابراهيم ، ويبقى فى الأرض شرار أهلها ، حتى تلفظهم وتقذرمهم ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير » ، فهذا الحديث مختصر ، ونجد الأصل عند أحمد ، قال : حدثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن قتادة عن شهر بن حوشب • عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال : « سمعت رسول الله (ص) يقول : « انها ستكون هجرة بعد هجرة ، فينحاز الناس الى مهاجر ابراهيم ، لا يبقى فى الأرض الا شرار أهلها ، فتلفظهم أرضوهم ، وتقذرمهم نفس الرحمن ، وتحشرهم النار مع القردة والخنازير ، فتبیت معهم اذا باتوا ، وتقبل معهم اذا قالوا ، وتأكل منهم من تخلف » •

ولكن على الرغم من أن قتادة كان يأتي فى تفسيره ببعض الأحاديث مختصرة ، فان الثقة فيها موجودة ، ولعلنا لاحظنا أن الحديث السابق كما رواه أحمد ، كان قتادة من رواه ، وعلى هذا نستطيع أن نقارن الحديث المختصر الوارد فى تفسير قتادة ، بما يماثله من الحديث المروى عن قتادة فى كتب الحديث الموثوق بها •

وأحيانا يأتي قتادة بمعنى الحديث ولا يلتزم بلفظه ، ففى تفسيره لقوله تعالى : « وما جعل أديعاءكم أبناءكم » (٣٧) ، يقول : « نكر لنا أن النبى (ص) كان يقول : « من ادعى الى غير أبيه متعمدا ، حرم الله عليه

(٣٦) العنكبوت / ٢٦ •

(٣٧) الأعراف / ٤١ •

الجنة ، فما جاء به قتادة هو معنى الحديث لا لفظه ، ونستطيع أن نعرف ذلك من القرطبي(٢٨) الذى روى عن سعد بن أبى وقاص وأبى بكر كلاهما قال : سمعته أذناى ووعاه قلبى محمدا صلى الله عليه وسلم يقول : « من ادعى الى غير أبية وهو يعلم أنه غير أبية فالجنة عليه حرام » ، وفى حديث أبى ذر أنه سمع النبى صلى الله عليه وسلم يقول : « ليس من رجل ادعى لغير أبية وهو يعلمه الا كفر » . ولكننا نلاحظ أن قتادة وان كان يأتى ببعض الأحاديث بواسطة المعنى ، فهو يلتزم بجوهر الحديث ومعناه الحقيقى ، كما يتبين بوضوح فى هذا الحديث ، كما أنه يسبق هذا النوع من الأحاديث بقوله « نكر لنا أن النبى (ص) كان يقول » ، وهى صيغة تفهمنا أنه سيأتى بمعنى الحديث لا بلفظه ، فعنصر الأمانة متوافر فى إبلاغه وأدائه ، كما يتوافر أيضا عنصر الثقة كما رأينا من قبل .

وأحيانا يأتى قتادة بجزء من حديث طويل ، فهو لا يعنيه طول الحديث ، وانما يأتى منه بالجزء الذى يحتاجه فقط فى التفسير ، ومثال على ذلك ، عندما تعرض لتفسيرقوله تعالى : « ويدعون الى السجود فلا يستطيعون »(٢٩) ، يقول : ذلك والله يوم القيامة ، ذكر لنا أن نبى الله (ص) كان يقول : « يؤذن للمؤمنين يوم القيامة فى السجود فيسجد المؤمنون ، بين كل مؤمن منافق ، فيقسو ظهر المنافق عن السجود ، ويجعل الله سجود المؤمنين عليهم توبيخا وذلا وصغارا وندامة وحسرة » فهذا جزء من حديث طويل مشهور .

وكما نجد عند قتادة أحاديث كثيرة موثقة ، كذلك نجد عنده أحاديث ليست بالقليلة ، نص العلماء على أنها غريبة أو ما الى ذلك ، ومن ذلك ، ما ساقه فى تفسير قوله تعالى : « يسبحون الليل والنهار لا يفترون »(٤٠) ، يقول : « ذكر لنا أن نبى الله (ص) بينما هو جالس مع أصحابه إذ قال : « تسمعون ما أسمع » قالوا : ما نسمع من شيء يا نبى الله ، قال : انى لأسمع أطيظ السماء ، وما تلام أن تنط وليس فيها موضع راحة الا وفيها ملك ساجد » ، فهذا الحديث حديث غريب ولم يخرجوه ، كما نص على ذلك ابن كثير(٤١) . ويحتمل أن يكون ذلك من كلام كعب

(٢٨) انظر تفسير القرطبي ١٢١/١٤ .

(٢٩) القلم / ٤٢ .

(٤٠) الانبياء / ٢٠ .

(٤١) تفسير ابن كثير ٣٢٩/٥ .

الأخبار ، فقد ورد عنه ما يشبه ذلك ، فقد قال : « ما من موضع خرمة ابرة من الأرض الا وملك موكل بها ٠٠٠ وان ملائكة السماء لاكثر من عدد التراب » (٤٢) .

فاذا كانت هناك بضعة من الأحاديث التي ساقها قتادة ، هي أحاديث غريبة أو ضعيفة ، فهي أحاديث تتناول أموراً غيبية أو تتعلق ببعض المواقف الفردية ، كما نجد قتادة وهو يذكرها ، انما يذكرها بيقظة وتحفظ ، فهو دائماً يسبقها بقوله : « وذكر لنا » أو « كنا فحدث أنه أو » وقيل لنا « ٠٠٠ وهي عبارات حذرة واعية ، حتى يخفف من مسؤوليته في رواية هذا الحديث . الا اننا نعود فنكرر أن قتادة كان كما وصفه علماء عصره « حجة مأمونا في الحديث » وانه ثقة ولا ينسى أنه من رواة الصحيحين وأن آرياب الصحاح قد احتجوا به .

وكما كان قتادة يستعين بالأحاديث النبوية الشريفة ، فكذلك يستعين بالأحاديث القدسية وهي التي رواها رسول الله (ص) عن الله سبحانه وتعالى ، ومن ذلك ، هذا الحديث القدسي الذي أتى به وهو يفسر قوله تعالى : « ان الذين يؤذون الله » (٤٢) ، قال : « ذكر لنا أن نبي الله (ص) كان يقول فيما يروى عن ربه عز وجل : « شتمنى ابن آدم ، ولم ينبغ له أن يشتمنى ، وكذبني ولم ينبغ له أن يكذبني ، فأما شتمه اياي فقولوه : « اتخذ الله ولدا » ، وأنا الأحد الصمد ، وأما تكذيبه اياي فقولوه لن يعيدنى كما بدأنى » ، فهذا الحديث القدسي صحيح ، وقد خرج البخارى من طرق ، منها طريق أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم : « يقول الله تبارك وتعالى : كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه اياي فقولوه لن يعيدنى كما بدأنى وليس قول الخلق بأهون على من اعادته ، وأما شتمه اياي فقولوه اتخذ الله ولدا ، وأنا الأحد الصمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد » ، ومنها طريق ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم : « قال الله تعالى كذبنى ابن آدم ولم يكن له ذلك ، وشتمنى ولم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه اياي فزعم انى لا أقدر أن اعيدته كما كان وأما شتمه اياي فقولوه لى ولد فسبحانى أن اتخذ صاحبة أو ولدا » .

ومن الأحاديث القدسية أيضاً التي أتى بها قتادة في تفسيره ، ذلك

(٤٢) المصدر السابق نفسه ١٦٤/٤ .

(٤٣) الأحزاب / ٥٧ .

الحديث فى معرض قوله تعالى : « فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرّة
أعين » (٤٤) قال قتادة : « قال رسول الله (ص) يروى ذلك عن ربه : « قال
ربكم : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر » ، وهو حديث قدسى صحيح أيضا رواه الامام أحمد من حديث
طويل عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله (ص) « ان الله تعالى
قال : « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر » .

وهكذا ، كان الحديث الشريف والحديث القدسى من سمات منهج قتادة
فى التفسير ، وهو المنهج الإسلامى الأصيل .

٣ - التفسير بأقوال الصحابة وكبار التابعين :

وهذه هى القاعدة الثالثة التى أجمع عليها علماء الإسلام فى التفسير ،
ولقد تحدثنا فيما سبق عن الكثرة الكثيرة من الرواة الذين روى عنهم
قتادة ، وهو فى تفسيره يسوق لنا حشدا كبيرا من هذه الأقوال ، فهو
يروى فى تفسيره هذا عن أنس بن مالك ، وعن أبى موسى الأشعري ، وعمرو
البيكالى ، والعلاء بن زياد ، وعمر بن الخطاب ، وصفوان بن محرز ،
وابن عمر ، وابن عباس ، وابن مسعود ، وسلمان ، وأبى بن كعب ،
ومطرف ، وكعب الأحبار ، والشعبي ، وسعيد بن المسيب ، وأبى بكر
الصدىق ، ومحدق العجلي ، وأبى مازن ، وأبى الدرداء ، والحسن البصرى ،
وعلى بن أبى طالب ، والزبير بن العوام ، والسيدة عائشة رضى الله عنها ،
وأبى سعيد الخدرى ، وحاطب بن أبى بلتعة ، وعمران بن حصين ، ومعاذ
ابن جبل ٠٠٠ وغيرهم .

ورغم أن كثيرا من مرويات قتادة عن هؤلاء ، من المراسيل والمنقطعات
والمعضلات ، فان قتادة كان ثقة كما رأينا ، وقد أوضحنا هذه المسألة
فيما سبق .

وتأتى هذه المرويات الماثورة فى تفسير قتادة أحيانا تفسيراً للآية ،
وأحيانا للاستشهاد والتقوية ، وأحيانا كمادة للطرافة ودفعا للملل أن يتسرب
الى نفس من يقرأ تفسيره .

فمثلا ، عندما يفسر قوله تعالى : « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على ابراهيم » (٤٥) ، يروى عن كعب انه قال : « ما أحرقت النار من ابراهيم الا وثاقه » فهو يأتي بهذه الرواية ليبين بها كيف كانت النار بردا وسلاما على ابراهيم ، فهي لم تؤذ ، وانما اذت وثاقه ، أحرقت الوثاق الذي ارتكبه به اعداؤه .

وعندما يتعرض لذي الكفل يقول (٤٦) : « قال أبو موسى الأشعري وهو يخطب الناس : « ان ذا الكفل لم يكن نبيا ، ولكن كان عبدا صالحا ، تكفل بعمل رجل صالح عند موته ، كان يصلى لله كل يوم مائة صلاة فأحسن الله عليه الثناء فى كفالتة اياه » ، فهو هنا يسوق رواية أبى موسى الأشعري ليفسر بها المعنى اللغوى لكلمة ذى الكفل ، وليفسر بها المراد من هذه الكلمة ، كما يلتقى بها الضوء على ذى الكفلس ومن هو وطرفا من عمله .

وعندما يفسر قوله تعالى : « أصحاب الجنة يومئذ خير مستقرا وأحسن مقيلا » (٤٧) ، ، يأتي برواية لصفوان بن محرز ، وهى تحكى قصة طريفة من تلك القصص التى تساق للوعظ والارشاد ، كما أنه يستعين بها فى نفس الوقت لتوضيح معنى كلمة « المقيلا » وكيف يكون ، يقول : « حديث صفوان بن محرز قال : انه ليجاء يوم القيامة برجلين ، كان أحدهما ملكا فى الدنيا فيحاسب ، فاذا عبد لم يعمل خيرا فيؤمر به الى النار . والاخر كان صاحب كساح فى الدنيا ، فيقول : يارب ما أعطيتنى من شيء فتحاسبني به ، فيقول صدق عبدى فأرسلوه ، فيؤمر به الى الجنة . ثم يتركان ما جاء الله ، ثم يدعى صاحب النار ، فاذا هو مثل الحممة السوداء ، فيقال له كيف وجدت مقيلك ؟ فيقول : شر مقيل ، فيقال له عد ، ثم يدعى صاحب الجنة ، فاذا هو مثل القمر ليلة البدر ، فيقال له كيف وجدت مقيلك ؟ فيقول : رب ، خير مقيل ، فيقال : عد » .

وقد تكون القصة التى يسوقها قنادة عن الصحابة وعن كبار التابعين ، قصة واقعية حدثت حقيقة ، ومن ذلك ، ما رواه وهو يفسر قوله تعالى :

(٤٥) الانبياء / ٦٩ .

(٤٦) أنظر تفسيره لقوله تعالى « وذا الكفل » . سورة الانبياء .

(٤٧) الفاتحان / ٢٤ .

« الليل والنهار خلفه » (٤٨) : فهو يذكر قصة طريفة وقعت لسلمان فيقول :
 « ان سلمان جاءه رجل ، فقال لا أستطيع قيام الليل ، قال ان كنت لا تستطيع
 قيام الليل فلا تعجز بالنهار » ، فعلاوة على أنها قصة تطرف القارئ ، فهي
 أيضا توضح معنى كيف يكون الليل والنهار خلفه ، فاذا فاتتكم عبادته في
 الليل فتداركها في النهار ، وان فاتتكم بالنهار فتداركها بالليل ، فالليل
 والنهار خلفه .

وهو يفسر قوله « ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات » (٤٩) ، بقول
 لابن عباس ، فيقول : « كان ابن عباس رضى الله عنه يقول : « الآيات التسع :
 يد موسى ، وعصاه ، والطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم ،
 والسنين في بواديهم ومواشيتهم ، ونقص من الشمرات في أمصارهم » . فقد
 أتى بكلمة ابن عباس ليفسر بها معنى التسع آيات .

وكثيرا ما نجده يذكر ملايسات الآية عند الصحابة ، فمندما يتعرض
 لتفسير قوله تعالى : « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » (٥٠) ، يقول : « قيل
 لعائشة : هل كان رسول الله (ص) يتمثل بشيء من الشعر ؟ قالت : كان
 ابغض الحديث اليه ، غير أنه كان يتمثل ببيت أخي بني قيس ، فيجعل آخره
 اوله واوله آخره ، فقال له أبو بكر : انه ليس هكذا ، فقال نبي الله (ص) :
 انى والله ما انا بشاعر ولا ينبغي لى » .

وعندما يتعرض لتفسير قوله تعالى : « ان فى ذلك لآيات لكل صبار
 شكور » ، يقول : « كان مطرف اذا مر بهذه الآية يقول : هذه آية القراءة » .

وهكذا ، كان قتادة يذكر قول الصحابي أو التابعي الكبير ، بروح
 الرواية وجمالها وروائها ، حتى يضيف على تفسيره الحياة والعذوية .

٤ - التفسير اللغوى والبلاغى :

تلفت نظرنا فى تفسير قتادة هذه السهولة فى الشرح ، وتلك العذوية فى
 التبسيط ، والبعد عن التعقيد والخموض ، فهو يجتج دائما الى المعنى البسيط

• (٤٨) الفرقان/ ٦٢

• (٤٩) الاسراء / ١٠١

• (٥٠) ص/ ٦٩

المباشر للفظه القرآن المراد تفسيرها ، ويأتى به فى صورة مرادف بسيط ودقيق أو شرح لطيف موجز ، فيفسر مثلا «المختبين» (٥١) بأنهم: «المتواضعين» ، و « الوابل» (٥٢) : « المطر الشديد » ، « صرصر» (٥٣) : « باردة » ، « ضيزى» (٥٤) : « جائرة » ، « مهطعين» (٥٥) : « عامدين» ، « كالعهن» (٥٦) : « كالصوف » ، « الوتين» (٥٧) : « حبل القلب » ، « الزبر» (٥٨) : « الكتب» ، « حنيد» (٥٩) : « نضيج » ، « أركسهم» (٦٠) : « أهلكهم » ، « عثيا» (٦١) ، « هرما » ، « سنة» (٦٢) : « نعسة » ، « الناقله» (٦٣) : « ابن ابنه » ، « جذاذا» (٦٤) : « قطعا » ، « فجاجا» (٦٥) : « أعلاما » ، أو «طرقا مختلفة» ، «فأجاءها» (٦٦) : « اضطرها » ، « فراغ» (٦٧) : « فمال » ، « ريع» (٦٨) : « طريق » ، « باخع» (٦٩) : « قاتل » ، « لجى» (٧٠) : « عميق » ٠٠٠

وإذا كانت مرادفاته التى يأتى بها من السهولة واليسر قد بلغت حدا كبيرا ، فكذا كانت عباراته الصغيرة التى يفسر بها اللفظة الصعبة تبلغ أيضا من السهولة واليسر حدا كبيرا ، ومن ذلك مثلا تفسيره لقوله تعالى : « يَا أَيُّهَا فِرْدَا» (٧١) : « لا مال له ولا ولد » « صفوان» (٧٢) : « الحجر الذى يسمى صفاة » ، « أئى يحيى هذه الله بعد موتها» (٧٣) : « أئى تعمز هذه بعد خرابها » ، « دسر» (٧٤) : « دسرت بمسامير» ، « ثانى عطفه» (٧٥) : « لاو عنقه » ، « مرید» (٧٦) : « تمرد على معاصي الله » ، « لا تشطط» (٧٧) :

- | | |
|------------------------------------|-------------------------------|
| ٠ ٥٢ البقرة/ ٢٦٤ | ٠ (٥١) الحج/ ٣٤ |
| ٠ (٥٤) النجم/ ٢٢ | ٠ (٥٢) الحاقة/ ٦ ، فصلت/ ١٦ |
| ٠ (٥٦) المعارج/ ٩ | ٠ (٥٥) القمر/ ٨ ، المعارج/ ٣٦ |
| ٠ (٥٨) الشعراء/ ١٩٦ ، المؤمنون/ ٥٣ | ٠ (٥٧) الحاقة/ ٤٦ |
| ٠ (٦٠) النساء/ ٨٨ | ٠ (٥٩) هود/ ٦٩ |
| ٠ (٦٢) البقرة/ ٢٥٥ | ٠ (٦١) مريم/ ٨ |
| ٠ (٦٤) الانبياء/ ٥٨ | ٠ (٦٣) الانبياء/ ٧٢ |
| ٠ (٦٦) مريم/ ٢٣ | ٠ (٦٥) الانبياء/ ٣١ ، نوح/ ٢٠ |
| ٠ (٦٨) الشعراء/ ١٢٨ | ٠ (٦٧) الصافات/ ٩٣ |
| ٠ (٧٠) النور/ ٤٠ | ٠ (٦٩) الكهف/ ٦ |
| ٠ (٧٢) البقرة/ ٢٦٤ | ٠ (٧١) مريم/ ٨٠ |
| ٠ (٧٤) القمر/ ١٣ | ٠ (٧٣) البقرة/ ٢٥٩ |
| ٠ (٧٦) الحج/ ٣ | ٠ (٧٥) الحج/ ٩ |
| | ٠ (٧٧) ص/ ٢٢ |

« لا تمل » ، « لاذب » (٧٨) : « الذى يلزق باليد » ، « قطمير » (٧٩) : « القشرة التى على رأس النواة » .

فهو يسهم الى المعنى الجوهري ويركز عليه ، فقوله تعالى : « حسبته لجة » (٨٠) ، هو أنه : « كان من قوارير وكان الماء من خلفه فصسبته لجة » ، « فاختلفت الأحزاب من بينهم » (٨١) : « اختلفوا فيه فصاروا أحزابا » ، « اثاثا ورثيا » (٨٢) : « يعنى بالأثاث : المتاع والمكانة ، ويعنى بالرثى : « الخلفة والمنظر » ، « ويكونون عليهم ضدا » (٨٣) : « يلعن بعضهم بعضا ويثبوا بعضهم من بعض » ، « من مشهد يرم عظيم » (٨٤) : « شهدوا قولا اذا عظيما »

وهو يستوحى كل المعانى التى تزخر بها الكلمة ، ويحاول أن يفوض عليها وأن ينفذ الى باطنها ويقراها وراءها وما توحى له من معان وأفكار ، ففى قوله تعالى : « اسمه يحيى » (٨٥) ، يقول : « عبد أحياء الله بالإيمان ، فيستلهم معنى الحياة من الاسم العلم ، ويحس بنوع هذه الحياة من جلال شخص المسمى ، وفى قوله تعالى : « بأسرة » (٨٦) ، يقول : « كالحة » ، متخيلا المنظر وما تكون عليه الوجوه الكافرة يوم الفصل العظيم من هوان ممتزج بالرعب . . . وفى قوله تعالى « طل » (٨٧) ، يقول : « طش » ، دقة واحساس مرهف بالمعنى ومقدرة بارعة فى الاتيان بأجمل المعانى . . .

وهو يقاى دائما عن الخوض فى مناقشات لغوية أو مسائل نحوية فى تفسيره اللفظى ، فيقول : « رجيم » (٨٨) : « لعين » ، دونما أفاضات مملّة والزحف داخل سرايب اللغة ، ويقول فى قوله تعالى : « ولا تنابزوا بالألقاب » (٨٩) : « لا تقل لأخيك المسلم ذاك فاسق ، ذاك منافق ، نهى الله المسلم عن ذلك وقدم فيه » . . . فهو يتعمد البعد عن مشاكل اللغة ومسائل النحو . . . ويشرح الرجم والتنابز شرحا مبسطا سهلا ولا يتعرض لأى موضوعات لغوية أو نحوية . . .

- | | |
|--------------------|--------------------|
| • (٧٩) فاطر/ ١٣ | • (٧٨) الصافات/ ١١ |
| • (٨١) مريم/ ٣٧ | • (٨٠) النمل/ ٤٤ |
| • (٨٢) مريم/ ٨٢ | • (٨٢) مريم/ ٧٤ |
| • (٨٥) مريم/ ٧ | • (٨٤) مريم/ ٣٧ |
| • (٨٧) البقرة/ ٢٦٥ | • (٨٦) القیامة/ ٢٤ |
| • (٨٩) الحجرات/ ١١ | • (٨٨) ص/ ٧٧ |

فائدة والبراعة امران يلزمان دائما اختياره للمعاني ، ولا يدخل في مشاكل الاشتقاق ولا الاصطلاح ، فالآية (٩٠) : عبرة وتفكر ، وه الطاغوت ، (٩١) : الكاهن ، و « الجبت » ، (٩٢) : الشيطان ٠٠٠ دون الدخول في مناقشات سقيمة ولا تعقيدات جافة .

وليس ذلك عن ضعف ، ففتادة كان اماما في اللغة وفي الغريب واذا حللنا بعض تفسيراته اللفظية وجدناها تنبىء عن مقدرته اللغوية الكبيرة ، وعلى سبيل المثال ، فقد فسر قوله تعالى : « ومن يهاجر في سبيل الله يجد في الأرض مراغما كثيرا وسعة » ، (٩٢) ، فقال : « أى والله ، من الضلالة الى الهدى ومن العيلة الى الغنى » ، وهذا أشبه بفصاحة العرب ، فان بسعة الأرض وكثرة المعامل تكون السعة فى الرزق واتساع الصدر لهوموه وفكره وغير ذلك من وجوه الفرج ، ويقول الشاعر :

وكنت اذا خليل رام قطمي

وجدت ورائى منفسحا عريضا

ويقول آخر :

لكان لى مضطرب واسع

فى الأرض ذات الطول والعرض (٩٤)

وفى تفسيره لقوله تعالى : « ولا تأكلوا أموالهم الى أموالكم » (٩٥) يقول : « مع أموالكم » ، فقد فسر « الى » هنا بمعنى « مع » ، وهى قاعدة لغوية وبلاغية أصيلة ، وكأنه يتمثل أمامه فى الأدب هذا البيت من الشعر لسلمة بن الحرشب وهو يصف الخيل الضمر :

يسدون أبواب القباب بضمير

الى عنن مستوثقات الأواصر (٩٦)

وفى تفسيره لقوله تعالى : « فلما جن عليه الليل » ، الى قوله : « انى برىء مما تشركون » (٩٧) ، يقول : « علم أن ربه دائم لا يزول » ،

(٩٠) ال عمران/ ١٣ قوله تعالى : « قد كان لكم اية » ،

(٩١) ، (٩٢) النساء/ ٥١ ،

(٩٣) النساء/ ١٠٠ ،

(٩٤) القرطبي ٥/ ٣٤٨ ،

(٩٥) النساء/ ٤ ،

(٩٦) الانعام/ ٧٦ ، ٧٧ ، ٧٨ ،

(٩٧) اللسان : اضر

فقد فسّر الأقول بالزوال ، وهو تفسير صحيح له أصول في اللغة والأدب ،
قال نو الرمة :

مصائب ليس بالرواى تقودها
نجوم ولا بالأنفلات الدوالك (٩٨)

وفى تفسيره لقوله تعالى : « ان الله كان على كل شيء حسيباً » (٩٩)
يقول « محاسباً » ، كما يقال « أكيل » بمعنى « مواكل » ، وفسر قوله تعالى :
« فيما نقضهم » (١٠٠) فقال : « فبنقضهم » على اعتبار خفض بالبساء ،
وما زائدة للتوكيد ، وذلك أنها تؤكد الكلام وتمكنه فى النفس من جهة
حسن النظم ومن جهة كثرة التوكيد : كما قالوا لشيء ما يسود من
يسود (١٠١) ، وكما فى قوله تعالى : « فيما رحمة من الله » (١٠٢) وتكون
الباء فى ذلك متعلقة بمحذوف ، والتقدير : فبنقضهم ميثاقهم لعصاهم ،
وحذف هذا لعلم السامع .

والأمر عنده لا يقتصر على براعة لغوية فحسب ، بل نلمح لديه أيضاً
كثيراً من اللمعات البلاغية الموفقة ، فهو يحس بالأية والفاظها وكان بين
الكلمة وقتادة صلة حب قوية تجعله يظن الى نواحيها النفسية والشعورية ،
ويلحظ مكانم الأداء فيها ومعانيه ...

ففى تفسيره لقوله تعالى : « لا تركضوا وارجعوا الى ما أترفتم فيه
ومساكنكم لعلكم تسئلون » (١٠٣) ، يقول : لعلكم تسئلون من دنياكم
شيئاً ، استهزاء بهم ، فقد أحس معنى السخرية والاستهزاء ، فى
تفسيره لقوله تعالى : « لا يسبقونه بالقول » (١٠٤) ، يحس بمعنى المدح
والتقريظ ، فيقول : « يثنى عليهم » ، وفى تفسيره لقوله تعالى : « قل
لأزواجك ان كنتن تردن » (١٠٥) ، يقول : « خيرهن بين الدنيا والآخرة ،
فى شيء كن أردنه من الدنيا ... فلما اخترن الله ورسوله شكرهن على
ذلك فقال : « لا يحل لك النساء من بعد ولا أن تبدل بهن من أزواج ولو

(٩٨) اللسان مادة ذلك ، وانظر مجاز القرآن ١/١٩٩ .

(١٠٠) النساء/١٥٥ ، المائدة/١٣ .

(٩٩) النساء/٨٦ .

(١٠٢) آل عمران/١٥٩ .

(١٠١) القرطبي ١٦/٣٢٤ .

(١٠٤) الأنبياء/٣٧ .

(١٠٣) الأنبياء/١٣ .

(١٠٥) الأحزاب/٢٨ .

اعجبك حسنهن» (١٠٦) ، « فقصره الله عليهن » ، فقد أحسن أن هذه الآية هي شكر من الله الى نساء الرسول المؤمنات • وفي تفسير لقوله تعالى : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة » (١٠٧) يقول : « ثامنهم والله ، فأعلى لهم الثمن » ••• فهو يحس بما فى الآيات من معانى المدح أو السخرية أو الشكر أو المساومة •••

وكذلك نلاحظ عنده فى هذا الصدد خاصية أخرى ، وهى أنه كان يقيم فى تفسيره صلة حية بينه وبين قارئ تفسيره أو المستمع اليه ، فهو يخاطبه ويوجه له الكلام ، ويشركه فى الحديث ، ويسأله ، ويجيبه ، فعندما يفسر قوله تعالى : ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون» (١٠٨) ، يقول : « هم يكذبون كما قرون » ، وعندما يفسر قوله تعالى : « وأن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك» (١٠٩) ، يقول : « يعزى نبيه كما تسمعون » ، وعندما يفسر قوله تعالى : « يس • والقرآن الحكيم • انك لمن المرسلين» (١١٠) ، يقول قسم كما تسمعون » ، وعندما يفسر قوله تعالى « اعملوا ما شئتم» (١١١) يقول : « خيركم وأمركم بالعمل » ، وعندما يفسر قوله تعالى : « ولا تتفرقوا فيه» (١١٢) ، يقول : « تعلموا أن الفرقة هلكة وأن الجماعة ثقة » ، وفى تفسير قوله تعالى : « ولئن أنتصر بعد ظلمه» (١١٣) ، يقول : « هذا يكون بين الناس من القصاص ، فأما لو ظلمك رجل لم يحل لك أن تظلمه » ، وفى تفسير قوله تعالى : « ولا تجسسوا» (١١٤) ، يقول وكأنه سائلا من حوله : « هل تدرون ما التجسس أو التجسس ؟ هو أن تتبع أو تبتغى عيب أخيك لتطلع على سره ••• وهكذا نجد فى تفسيره نوعا من المشاركة الوجدانية الغابضة التى تشد الأسماع وتجذب القلوب وتدخل الألفة فى النفوس ••• خاصة وعبارته بليغة وأسلوبه عذب وطريقته فى التعبير محببة ، وتأمل قوله فى تفسير الآية الكريمة : « وما هو ببالغسه » (١١٥) ، يقول : « وليس ببالغه حتى يمزج عتقه ويهلك عطشا » ••• فروعة البيان عنده وملكه ناصيته تضى على تفسيره الرواء والجمال •••

وفى كثير من الآيات القرآنية نرى ضمائر وأسماء إشارة وأسماء

- | | |
|--------------------|---------------------|
| • ١٠٧ التوبة/ ١١١ | • (١٠٦) الأحزاب/ ٥٢ |
| • (١٠٩) فاطر/ ٤ | • (١٠٨) السجدة/ ٢٠ |
| • (١١١) فصلت/ ٤٠ | • (١١٠) يس/ ١ : ٣ |
| • (١١٣) الشورى/ ٤١ | • (١١٢) الشورى/ ١٢ |
| • (١١٥) الرعد/ ١٤ | • (١١٤) الحجرات/ ١٢ |

موصولة ، وما شابه ذلك من الحروف والأدوات التي تعود فى معناها على معان سابقة وردت خلال النص القرآنى ، ولا بد للقارئ والمفسر أن يكون على بينة منها وعلى معرفة تامة بما تعود عليه والا وقع اللبس والخطأ .

وقتادة فى تفسيره يهتم اهتماما كبيرا بهذا النوع من التفسير ، فهو دائم التوضيح للضمير ولهذ الأدوات ولما يعود عليه ، وتبين العلاقة بينهما ، حتى يزح الغموض عن المعنى وحتى يمنح شبهة اللبس ، ومن هنا نرى لهذه الزاوية فى تفسيره قيمة كبرى ، اذ وفر لتفسيره سهولة ادراك المعانى القرآنية بيسر دونما تعقيد أو غموض . وليس .

فى تفسير قوله تعالى: «فان الله من بعد اكرامهن غفور رحيم» (١١٦) ، يقول : « لهن وليست لهم » ، فهو يوضح هناك لمن يكون الله غفورا رحيمًا ، للمكرهات اللاتى أكرهن ، وليس لمن أكرهوهن

وفى تفسير قوله تعالى : « ليؤمنن به من قبل موته » (١١٧) ، يقول : « قبل موت عيسى اذا نزل آمنن به الأديان كلها ، أى انه يجعل الهانين جميعا تعودان لعيسى .

وفى تفسير قوله تعالى : « أعلم أن الله على كل شء قدير » (١١٨) ، يقول : « قول لنبى الله » ، فهو يوضح لمن هذا القول .

وفى تفسير قوله تعالى : « من يصرف عنه يومئذ رحمه » (١١٩) ، « من يصرف عنه العذاب » ، وقوله تعالى : « وكتبنا عليهم فيها » (١٢٠) : « التوراة » ، فمن تصدق به فهو كفارة له « (١٢١) » : « لولى القتيل الذى عفا » ، « ثم يبعثكم فيه » (١٢٢) : « فى النهار » ، « وارجعوا الى ما أترفتم فيه » (١٢٣) : « ارجعوا الى دنياكم التى أترفتم فيها » ، « وتبغونها عوجا » (١٢٤) : « تبغون السبيل عن الحق عوجا » ، « وجاءك فى هذه الحق » (١٢٥) :

-
- | | |
|---------------------|----------------------|
| • (١١٦) النور/ ٣٣ | • (١١٧) النساء/ ١٥٩ |
| • (١١٨) البقرة/ ٢٥٩ | • (١١٩) الانعام/ ١٦ |
| • (١٢٠) المائدة/ ٤٥ | • (١٢١) المائدة/ ٤٥ |
| • (١٢٢) الانعام/ ١٠ | • (١٢٣) الانبياء/ ١٢ |
| • (١٢٤) الاعراف/ ٨٦ | • (١٢٥) هود/ ١٢٥ |

« فى هذه السورة » ، « بعد عامهم هذا » (١٢٦) ، « وهو العام الذى حج فيه أبو بكر ، ٠٠٠ وهكذا كثير .

وهو هنا ينتبه للمقدم والمؤخر ويشرحه ويوضحه ، وفى قوله تعالى : « وأسروا النجوى الذين ظلموا » (١٢٧) ، يقول : أسروا الذين ظلموا النجوى ، وفى قوله تعالى : « انى متوفيك ورافعك الى » (١٢٨) ، يقول : « أى رافعك الى ومتوفيك » ، وفى قوله تعالى « فلا تعجبك أمرهم ولا أولادهم انما يقول : « أبى رافعك الى ومتوفيك » ، وفى قوله تعالى : « فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم انما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزحق أنفسهم وهم كافرون » (١٢٩) ، يقول : « هذا من المقدم والمؤخر ، تقديره فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم فى الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها فى الآخرة ٠٠٠ وهكذا .

وكما ينتبه للمقدم والمؤخر ، ينتبه لأسلوب الطبايق فى القرآن ، وفى قوله تعالى : « الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا » (١٣٠) ، يقول : مغفرة لفحشائكم وفضلا لفقركم ، ٠٠٠

فان فهمه الدقيق للمعانى القرآنية جعله يدرك كل هذه الخصائص فى أسلوب القرآن ويبرزها فى تفسيره بوضوح وجلال ٠٠٠

وان كان قتادة يظن لما تعود عليه الضمائر وأسماء الاشارة والموصولة ، والمقدم والمؤخر ، ولأسلوب الطبايق ، ويجعل من تفسيره بناء كاملا لا تفتقد فيه الوحدة العضوية ، فهو يربط المعانى القرآنية بعضها ببعض ، فمثلا فى قوله تعالى : « وفعلت فعلتك التى فعلت » (١٣١) ، يقول : « قتلت النفس » ، وفى قوله تعالى : « ولهم على ذنب » (١٣٢) ، يقول : « قتل النفس » ، وفى قوله تعالى : « فنجيناك من الغم » (١٣٣) ، يقول : « النفس التى قتل » ، ٠٠٠ وهكذا يلتفت دائما الى معانى القرآن المترابطة وينبئها عليها .

- | | |
|---------------------|----------------------|
| • (١٢٧) الانبياء/ ٣ | • (١٢٦) التوبة/ ٢٨ |
| • (١٢٩) التوبة/ ٥٥ | • (١٢٨) آل عمران/ ٥٥ |
| • (١٣١) الشعراء/ ١٩ | • (١٣٠) البقرة/ ٢٦٨ |
| • (١٣٣) طه/ ٤٠ | • (١٣٢) الشعراء/ ١٤ |

وهناك خاصية هامة أيضا في تفسير قتادة اللفظي ، وهي أنه كان يدرك المعنى الثاني للكلمة ، ولا يقتيد بمعناها الوضعي ، ولكن يرتبط في ذلك بمعاني القرآن العامة والسياق النفسي والمعنوي للآيات ، فحين يفسر قوله تعالى : « فاسألوا أهل الذكر » (١٢٤) ، لا يشرح معنى الذكر ، وإنما يقول من هم أولئك أهل الذكر ، فيقول : « أهل للتوراة والانجيل » ، مستندا في ذلك أن للسؤال هنا يدور حول موضوعات تمس أهل الكتاب وأصحاب التوراة والانجيل ٠٠٠ وكذلك حين يفسر قوله تعالى : « وعلى كل ضامر » (١٢٥) ، يقول : « ما قبله المطى حتى تضمر » فالحاج لا يرتحل للمحج على الضامر ، وإنما الضامر يكون بعد الرحلة الشاقة المضنية فتضمر المطى من النصب والعناء ٠٠٠ وحين يفسر قوله تعالى : « وأهش بها على غنمي » (١٣٦) ، يقول : « أهش بها على غنمي ورق الشجر » ، بمعنى أنه من رحمة نبي الله موسى وشفقته حتى يغممه ، لا يضربها بعصاه ، بل لا يهش عليها بها ، وإنما يضرب ورق الشجر لها لتأكله وترعاه ٠٠٠ وهكذا نجد مجموعة كبيرة من تفسيراته التي تعتمد على ادراك المعنى الثاني ومباشرته من أقرب طريق ، فالغاورون في قوله تعالى : « والشعراء يتبعهم الغاؤون » (١٣٧) ، هم : « الشياطين » ، « والسُلطان » المبين (١٣٨) الذي كان لا بد للدهد أن يأتي به سليمان هو عذر مبين ، ومعنى يهيمون في قوله تعالى : « في كل واد يهيمون » (١٣٩) ، أنهم « يمدحون قوما بباطل ويشتمون قوما بباطل » ، وأن قول لوط « أنهم أناس يتطهرون » (١٤٠) : « عابدهم بغير عيب » ، والقول في الآية الكريمة : « وإذا وقع القول » (١٤١) ، هو : « الغضب » ، وأن الوحي الذي ألقاه الله في قلب أم موسى (١٤٢) ، هو « قذف في قلبها وليس يرحى نبوة » ، والمرض في قوله تعالى : « فيطمع الذي في قلبه مرض » (١٤٣) ، هو : الزنا - « شهوة » ، ويقول في قوله تعالى : « شهنكسوا على رؤوسهم » (١٤٤) ، أدركت الناس حيرة ، فهم يعرفون أن الاصنام لا تتكلم ، فان اعترفوا بذلك فكيف يعبدون من لا ينطقون ، وان لم يعترفوا فكيف يحاكمون ابراهيم ؟

- | | |
|---|---|
| • (١٢٥) الحج/ ٣٧ | • (١٢٤) النمل/ ٤٣ |
| • (١٣٧) الشعراء/ ٢٢٤ | • (١٣٦) طه/ ١٨ |
| • النمل/ ٢١ - | (١٣٨) قوله تعالى : « او لياتينر. بسُلطان مبين » - |
| • (١٤٠) النمل/ ٥٦ - | • (١٣٩) الشعراء/ ٢٢٥ |
| | • (١٤١) النمل/ ٨٢ |
| • (١٤٣) قوله تعالى : « وأوحينا الى أم موسى » - القصص/ ٧ | |
| • (١٤٤) الانبياء/ ٦٥ | • (١٤٣) الاحزاب/ ٣٧ |

فتفسير قتادة هنا وإدراكه للمعاني القائمة وراء الألفاظ فيه الكثير من البراعة والتوفيق

وانظر الى هذه البراعة اللغوية التفسيرية التي نجدها عند قتادة في قوله تعالى : « لا يستل عما يفعل » (١٤٥) ، قال : « بعباده » ، « وهم يستلون » (١٤٦) : « عن أعمالهم » ، « فهم معرضون » (١٤٧) : « عن كتاب الله » ، « ولا يشفعون » (١٤٨) : « يوم القيامة » ، « ولا هم منا يصحبون » (١٤٩) : « من الله بخير » ، « وطهر بيتي » (١٥٠) : « من الشرك وعبادة الأوثان » ، « لهم مغفرة » (١٥١) ، « لذنوبهم » ، « والطير صافات » (١٥٢) : « بأجنحتها » ، « بقلب سليم » (١٥٣) : « من الشرك » ، « من المرجومين » (١٥٤) : « بالحجارة » ، « ربطنا على قلبها » (١٥٥) : « بالايمان » ، « لما صبروا » (١٥٦) : « على ترك الدنيا » ، « قويا » (١٥٧) : « في أمره » ، « عزيزا » (١٥٨) : « في نعمته » ، « غفور » (١٥٩) : « لذنوبهم » ، « شكور » (١٦٠) : « لحسناتهم » ، « جثيا » (١٦١) : « على ركبهم » ، « وفدا » (١٦٢) : « الى الجنة »

وخاصية أخرى كذلك . . . نستطيع أن ندركها في الطريقة التي فسر بها قتادة ألفاظ القرآن ومعانيه ، هي ميله القوي للتفصيل والتوضيح ، والاطناب في ذلك التفصيل والتوضيح ، فهو لا يكتفى بإيراد أقرب مرادف عن طريق ما يسمى في البلاغة بمراعاة الظهير ، فيجمع بين أمر وما يناسبه لا بالتضاد ، فهو مثلا عندما يفسر كلمة « الفرقان » (١٦٣) ، يقرن أولا أن الفرقان هو القرآن ، ثم يزيد الأمر وضوحا أكثر فيقول أنه المنزل من لدن الله عز وجل على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم يأتي بعد ذلك في توضيح الفرقان وأنه يفرق بين الشيء والشيء ، ويعمد الى طائفة كبيرة من الأمثلة

- | | |
|----------------------|--------------------------|
| • (١٤٦) الانبياء/ ٢٣ | • (١٤٥) الانبياء/ ٢٣ |
| • (١٤٨) الانبياء/ ٢٨ | • (١٤٧) الانبياء/ ٢٤ |
| • (١٥٠) الحج/ ٢٦ | • (١٤٩) الانبياء/ ٤٣ |
| • (١٥٢) النور/ ٤١ | • (١٥١) النور/ ٢٦ |
| • (١٥٤) الشعراء/ ١١٦ | • (١٥٣) الشعراء/ ٨٩ |
| • (١٥٦) المسجدة/ ٢٤ | • (١٥٥) القصص/ ١٠ |
| • (١٥٨) الاحزاب/ ٢٥ | • (١٥٧) الاحزاب/ ٢٥ |
| • (١٦١) مريم/ ٧٢ | • (١٥٩) ، (١٦٠) طاهر/ ٣٠ |
| • (١٦٣) آل عمران/ ٤ | • (١٦٢) مريم/ ٨٥ |

التي تبين هذا المعنى المطلوب ، يقول : « هو القرآن ، أنزله على محمد ، وفرق به بين الحق والباطل ، فأحل فيه جلاله ، وحرم فيه حرامه ، وشرع فيه شرائعه ، وحد فيه حدوده ، وفرض فيه فرائضه ، وبين فيه بيانه ، وأمر بطاعته ، ونهى عن معصيته » . . . وهكذا يزيد الأمر وضوحا بالتفصيل والأطناب في ذلك التفصيل عن طريق ما سماه البلاغيون فيما بعد بمراعاة النظرير . . .

وهكذا ، ففي تفسيره لقوله تعالى : «سورة أنزلناها وفرضناها» (١٦٤) ، يقول : « فرض الله فيها فرائضه ، وأحل حلاله ، وحرم حرامه ، وحد حدوده ، وأمر بطاعته ونهى عن معصيته » ، وفي تفسيره لقوله تعالى : « في بيوت أذن الله أن ترفع » (١٦٥) ، « يقول : « هي المساجد ، أذن الله في بنائها ورفعها وأمر بعمارتها وبطهورها » ، « وفي تفسيره لقوله تعالى : « لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا » (١٦٦) ، يقول : « أمر أن يهاب نبيه وأن يبجل وأن يعظم وأن يفخم ويشرف » ، « وفي تفسيره لقوله تعالى : « لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار » (١٦٧) ، يقول : « ولكل حد وعلم لا يعدوه ولا يقصر دونه ، إذا جاء سلطان هذا ذهب سلطان هذا » ، « وفي تفسيره لقوله تعالى : « يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل » (١٦٨) ، يقول : « يغشى هنا هذا ويغشى هذا هذا » ، « وفي تفسيره لقوله تعالى : « كتابا متشابها مثنائي » (١٦٩) ، يقول : الآية تشبه الآية والحرف يشبه الحرف ، وثنى الله فيه الفرائض والقضايا والحدود » ، « وفي تفسيره لقوله تعالى : « وقدر فيها أقواتها » (١٧٠) ، يقول : « صلاحها ، خلق فيها جبالها وانهارها وبحارها وشجرها وساكنها من الدواب كلها » ، « وفي تفسيره لقوله تعالى : « وأوحى في كل سماء أمرها » (١٧١) ، يقول : « خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها وصلاحها » ، « وفي تفسيره لقوله تعالى : « نكروا لها عرشها » (١٧٢) ، يقول : « جعل أسفله أعلاه ومقدمه مؤخره ، وزادوا فيه ونقصوا » . . .

وأحيانا وهو يطنب في تفصيله وتوضيحه يلحق آخر كلامه بأوله في

- | | |
|-------------------|-------------------|
| • (١٦٤) النور/ ١ | • (١٦٥) النور/ ٣٦ |
| • (١٦٦) النور/ ٦٣ | • (١٦٧) يس/ ٤٠ |
| • (١٦٨) الزمر/ ٥ | • (١٦٩) الزمر/ ٢٣ |
| • (١٧٠) فصلت/ ٣٠ | • (١٧١) فصلت/ ١٢ |
| • (١٧٢) النمل/ ٤١ | |

المعنى على سبيل ما يسمى فى البلاغة بـ«تشابه الاطراف» ، ومن ذلك فى تفسيره لقوله تعالى : « أرايت من اتخذ الهه هواه »(١٧٣) ، يقول « كلما هوى شيئاً ركبه وكلما اشتهى شيئاً آتاه ، لا يحجزه عن ذلك تقوى » ، وفى قوله تعالى : « واجعلنا للمتقين اماماً » (١٧٤) ، يقول : « قادة فى الخير ودعاة يؤتم بهم فى الخير » .

وكذلك كان يأتى بمعان متلائمة فى جمل مستوية المقادير على سبيل « التوقيف » ، ومن ذلك فى تفسير قوله تعالى : « ومن أحسن قولاً ممن دعا الى الله وعمل صالحاً وقال اننى من المسلمين »(١٧٥) ، يقول : « هذا عبد صدق قوله عمله ، ومولجه مخرجه ، وسره وعلانيته ، وشاهده مغيبه ، فان المنافق عبد خالف قوله عمله ، ومولجه مخرجه ، وسره وعلانيته ، وشاهده مغيبه » .

وهو يوجه توضيحه وتفصيله خصوصاً للغامض من الآيات ، ومن ذلك مثلاً قوله تعالى : « ايكم ياتينى بعرشها » (١٧٦) ، فان قتادة يوضح لماذا أراد سليمان عرش بلقيس قبل أن يأتيه القوم مسلمين فيقول : « قد علم نبي الله سليمان أن القوم متى ما يسلموا تحرم أموالهم مع دمانهم ، فأحب أن يؤتى به [بالعرش] قبل أن يكون ذلك من مرهم فقال : « ايكم ياتينى بعرشها قبل أن يأتوا مسلمين » ، وفى تفسير قوله تعالى : « والتفت الساق بالساق »(١٧٧) ، يقول : « ماتت رجلاه فلا يحملانه الى شيء ، فقد كان عليهما جوالا » ، وفى تفسير قوله تعالى : « ربنا أمتنا اثنتين وأحبيبتنا اثنتين »(١٧٨) ، يقول : « كانوا أمواتا فى أصلاب آبائهم فأحياهم الله فى الدنيا ثم أماتهم الموتة التى لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة ، فهما حياتان وموتتان » .

وهكذا يمضى قتادة فيوضح المعانى المبهمة فيقول أن « مد الظل »(١٧٩) ، « هو ما بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس » ، وقوله تعالى : « ظلمات ثلاث »(١٨٠) : « المشيمة والرحم والبطن » ، ويونس « فى الظلمات »(١٨١) :

- (١٧٤) الفرقان/ ٧٤
- (١٧٦) النمل/ ٣٨
- (١٧٨) غافر/ ١١
- (١٨٠) الزمر/ ٦

- (١٧٣) الفرقان/ ٤٣
- (١٧٥) فصلت/ ٣٣
- (١٧٧) القيامة/ ٢٩
- (١٧٩) الفرقان/ ٤٥
- (١٨١) الانبياء/ ٨٧

• ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ، ، وأن معنى أن السحرة
« أسروا النجوى » (١٨٢) : أنه « قال السحرة بينهم أن كان هذا ساحرا
فانا سنغلبه ، وان كان من السماء قله أمر » ، وأن معنى قوله تعالى
« نفخنا فيها : « نفخنا في جيبها ٠٠٠ وهكذا

والخاصية الأخيرة التي نتحدث عنها في موقف قتادة من التفسير
اللفظي ، هي أنه كان في تفسيره اللفظي يلقى على الكلمة بعض الأضواء
التاريخية أو الاجتماعية التي تساعد على فهم المراد منها وتكشف عن
معانيها الخاصة والمقصد الذي ترمى إليه بصفة ذاتية ، إلى انه لا يفسر
الكلمة في حد نفسها ، وانما يفسرها، تفسيراً اجتماعياً أو تاريخياً ، حتى
يوضح ما الذي تدور حوله وماذا تعنى لا من حيث اللغة ولكن من حيث
استخدامها التاريخي أو الاجتماعي في هذا الموضوع .

وعلى سبيل المثال نراه وهو يفسر كلمة « العقود » في قوله تعالى
« يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود » (١٨٢) ، يقول أولاً أنها « العهود » ،
ثم يعود فيوضح الدلالة التاريخية والاجتماعية لهذه الكلمة وقت التنزيل ،
فهو يقف بتطورات الكلمة عند أو ان نزولها ولا يتعداه الى غير ذلك قط فيقول
عن العقود انها عقود الجاهلية . ثم نجده يتمثل بعد ذلك بحديث يرويه لنا
عن الربيع (ص) ، فيقول : « ذكر لنا أن نبي الله (ص) كان يقول : « أوفوا
بعقد الجاهلية ولا تحدثوا عقدا في الاسلام » ، فهو اذن بهذا الحديث يوضح
ان العقود هي الأحلاف ، ثم ما هي نوعية الأحلاف هنا والتي يطالبنا الله عز
وجل بالوفاء لها ، فيسوق قتادة هنا حديثاً آخر للمرسول (ص) ، يوضح
به أن هذه الأحلاف هي التي اتفق فيها على الصلح وحقق الدماء وعلى
المشورة ونجدة المهوف ونصرة المظلوم وما الى ذلك من تلك الخلال الكريمة
والتي اشتهر بها العرب - حقا - قبل الاسلام ، وحافظ عليها الدين الاسلامي
والحديث الذي ساقه قتادة هنا في هذا الصدد هو : « ذكر لنا أن فرات
ابن حبان العجلي سأل رسول الله (ص) عن حلف الجاهلية فقال
نبي الله (ص) : « لعلك تسأل عن حلف لحيم وتيم الله ، فقال : نعم يا نبي
الله ، قال : « لا يزيده الاسلام الا شدة » .

وهكذا ، أوضح قتادة أولاً معنى العقود في حد ذاتها ، ثم ألقى لنا

بعض الأضواء التاريخية على هذه الكلمة حتى يكشف لنا عن معانيها، ودلالاتها ، وذلك وقت تنزيلها ، فهو لا ينظر الى المفردات القرآنية نظرة زمنية واسعة ، وإنما يقف بها فحسب عند الوقت التي نزلت فيه ويكتفى بذلك ، فهو مفسر سلفى بحث .

هذا المثال يعطينا اذن صورة واضحة لهذا النوع من التفسير اللفظي عند قتادة ، فهو فى هذه الكلمة ، كلمة العقود بين أولا معناها العام الأساسى ، ثم بين بعد ذلك معناها الخاص ذا الدلالات التاريخية والاجتماعية، وذلك لكى يكون التفسير واضحا شاملا وافيا .

ولقد كان قتادة يستعين فى ذلك الضرب من تفسيره ، بالموروثات العربية التي يمكن أن تساعد فى عمله هذا ، ومن الأمثلة هنا ، عندما يفسر قوله تعالى « وثيابك فطهر(١٨٤) » ، فيقول : « طهرها من المعاصي » ، فقد فسر اذن الطهارة هنا بأنها معنوية ، وهذا التفسير منه انما هو قائم على تمثله للموروث العربى فى ذلك الصدد ، اذ يقول بعد ذلك : « هى كلمة من العربية ، كانت الجرب تقولها ، طهر ثيابك أى من الذنوب » ويقول « كانت العرب تسمى الرجل اذا نكث ولم يف بعهد أنه « دنس الثياب » ، واذا وفى وأصلح قالوا « مطهر الثياب » . وكذلك نفس الحال عندما يفسر قوله تعالى : ويقولون حجرا محجورا(١٨٥) » ، يقول : « هى كلمة كانت العرب تقولها ، كان الرجل اذا نزل به شدة قالوا حجرا : حراما محرما » . وفى نفس الوقت لا نعدم وجود تفسير لفظي له استعان عليه بالفاظ من اللغات واللهجات العربية الأخرى ، وفى قوله تعالى : « لى أردنا أن نتخذ لهوا(١٨٦) » ، فيقول : « اللهو فى بعض لغة أهل اليمن : المرأة » ، وفى قوله تعالى (« أتدعون بعلا » (١٨٧) ، يقول : « هذه لغة باليمانية ، ربا ، بلغة أزد شنوءة » ، وفى قوله تعالى : « وكانوا قوما بورا »(١٨٨) ، يقول : « البور بكلام عمان من أهل اليمن ومعناها هناك : هلكى » ، وفى قوله تعالى : « فنظر نظرة فى النجوم » (١٨٩) ، يقول « كلمة من كلام العرب يقول اذا تفكر : نظر فى النجوم . . . وهكذا .

والخلاصة . . . أن قتادة كان فى تفسيره لألفاظ ومعانى القرآن الكريم

- | | |
|----------------------|----------------------|
| • (١٨٤) المدثر/ ٤ | • (١٨٥) الزمر/ ٢٢ |
| • (١٨٦) الانبياء/ ١٧ | • (١٨٧) الصافات/ ١٢٥ |
| • (١٨٨) الفرقان/ ١٨ | • (١٨٩) الصافات/ ٨٨ |

يجنح الى السهولة فى الشرح والبعد عن التعقيد والغموض ، فيأتى بأقرب مرادف للكلمة الصعبة أو بأقرب عبارة صافية . ويسهم الى المعنى الجوهري من أقرب طريق . ويستوحى معانى الكلمات ويستقرىء دلالاتها . وينأى عن الخوض فى مناقشات لغوية مملة أو مسائل نحوية جافة ، وكذا مشاكل الاشتقاق والاصطلاح ، كما يفصح تفسيره عن مقدرة لغوية بارعة ، ونلمح عنده كثيرا من اللفظات البلاغية الماهرة . ورأيناه كيف يقيم صلة حصة دافئة بينه وبين القارىء أو السامع تفسيره ، كما كان يهتم بتوضيح ما يعود عليه الضمير أو اسم الإشارة أو الاسم الموصول أو ما شابه ذلك من أدوات . وينتبه للمقدم والمؤخر ، ولأسلوب الطباق ، ويوفر لتفسيره الوحدة العضوية فى الشرح ، ويدرك المعنى الثانى وراء الكلمة كما وجدنا فى تفسيره اللفظى بعض اللفظات البلاغية الرقيقة مثل مراعاة النظير وتشابه الأطراف والتفويف ، وكذلك يوضح المعانى المبهمة ، ويلقى بعض الأضواء التاريخية والاجتماعية على الكلمة ، ويستعين فى هذا الصدد بالموروثات العربية وبألفاظ من اللغات واللهجات العربية الأخرى . وكل ذاك إنما يترجم عن مكانته العظيمة والقيمة الكبرى التى يحتلها تفسيره بين القفايسير .

٥ - التفسير والقراءات :

وجدنا لقتادة فى تفسيره قراءات كثيرة . وقد أثبتنا له هذه القراءات ، ودرسنا جملة كبيرة منها لتبين أثرها فى التفسير ، ولقد اتضح أن قتادة كان أحيانا يتابع قراءة الجمهور ، وأحيانا كان يقبل بقراءة شاذة ، أو بقراءة خاصة به ، فهو له اختيار ، وهذا الاختيار له تأثير فى تفسيره ، وسنحاول فيما يلى أن نوضح بعض هذه القراءات ، وكيفية توجبها نحو التفسير ، وكيف يتأثر التفسير بهذه القراءة أو تلك عندما نقارن قراءته بقراءة الجمهور .

(أ) قوله تعالى : « واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام » (١٦٠) ، قرأ الجمهور « والأرحام » بالفتح ، والعامل فيها « واتقوا » ، ويكون المعنى على ذلك : اتقوا الله أن تعصوه واتقوا الأرحام أن تقطعوها .

وقرأ قتادة « والأرحام » بالخفض ، فالعامل فيها الباء ، وهى معطوفة على المكنى ، وقد كانوا يتساءلون بذلك . يقول الرجل : سألتك

بإله والرحم أو أنشدك بإله وبالرحم ، فالمعنى على قراءة قتادة : واتقوا الله الذى تساءلون به وتساءلون بالأرحام كذلك .

وقراءة الخفض كانت لقتادة ولابراهيم النخعي والاعمش وحمزة ، وقد هاجم العلماء هذه القراءة ، فقال البصريون هو لحن لاتحل القراءة به ، وقال الكوفيون هو قبيح ، ووجه هجومهم أنه يقبح عطف الاسم الظاهر على المضمر فى الخفض الا باظهار الخافض ، كقوله « فخسفنا به وبداره الأرض(١٩١) » ، وذلك لأن المعطوف والمعطوف عليه شريكان يحل كل واحد منهما محل صاحبه فكما لا يجوز مررت بزيد وبك ، كذلك لا يجوز مررت بك وزيد كما قال المازنى . وقبحها آخرون من ناحية أصول الدين ، ففى الحديث الشريف قال رسول الله (ص) : « لاتحلفوا بأبائكم » وعلى هذا فاذا لم يجز الحلف بغير الله فكيف يجوز بالرحم ؟

ورأى القرطبي أنه يجوز أن تكون قراءة الخفض صحيحة من ناحية المعنى ، لأنه لا يبعد أن يكون الله قد أقسم بالأرحام كما أقسم بمخلوقاته الدالة على وحدانيته وقدرته تأكيدا لها حتى قرنها بنفسه ، والله أعلم ، والله أن يقسم بما شاء ويمنع ما شاء(١٩٢) . ويبدو أن قتادة كان يهتم بالمعنى وظاهره فى هذه القراءات .

(ب) قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين(١٩٣) :

قال قتادة فى تفسير هذه الآية : « افترض الله غسلتين ومسحتين » ، ومعنى هذا أنه يقرأ كلمة « وأرجلكم » بالخفض ، خلافا للجمهور الذى قرأها بالنصب ، ومعنى النصب أن العامل فى كلمة « وأرجلكم » هو « اغسلوا » ، ولكن معنى الخفض أن العامل فى كلمة « وأرجلكم » هو « امسحوا » والفرض عند الجمهور الغسل لا المسح ، وعند قتادة ومن على قراءته غسلمان ومسحتان ، ودافع كل فريق عن رأيه بكثير من الحجج والأدلة ، ليس هنا محل لسردهما ، وانما المهم هو أن نفهم لماذا كان قتادة

(١٩١) القصص/ ٨١ .

(١٩٢) تفسير القرطبي ٤/٥ - ٥ .

(١٩٣) المائدة/ ٦ .

يذراً بهذه القراءة ؟ ويبدو أن قتادة أخذ بظاهر الآية ، فكلمة « تيديكم » معطوفة على كلمة « وجوهكم » والعامل « اغسلوا » ، وذلك فى مقابل ، عطف « أرجلكم » على « رءوسكم » والعامل امسحوا ، فالأسلوب يوحى بالمقابل ، وظاهر الآية يقول ان الوضوء غسلتان ومسحتان كما قرر قتادة ، ولقد كان قتادة مفسرا سلفيا ، يتورع عن الخوض فى مشاكل منطقية . و حيل نحوية ويكتفى بتقرير المعنى الواضح الظاهر للآية ، بدون تعقيد أو التواء .

ج - ويجوز أن يكون قتادة قد رأى فى هذه القراءة أمرا لغويا ، فالمسح فى اللغة لفظ مشترك فيشتمل معه الغسل أيضا ، حتى لقد قال ابن عطية : ذهب قوم ممن يقرأ بالكسر الى أن المسح فى الرجلين هو الغسل(١٩٤) ، فالأمر اذن قد يبدو أنه امر لغوى ، ولقد كان قتادة يذهب مذهب اللغة فيما يعن له من مسائل فى القراءة أو فى الفقه أو التفسير . حتى نجده يقرأ قوله تعالى : « وحرث حجر»(١٩٥) : حجر ، بفتح الحاء ، مخالفا بذلك قراءة الجمهور التى هى بكسر الحاء ، وذلك لأن الفتح أكثر دورانا على اللسان العربى من الكسر(١٩٦) ، فحينذا قتادة هذه القراءة اذن على قراءة الجمهور لانه رأى فيها شيوعا «عروبة» وكذلك فقد قرأ قوله تعالى : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا»(١٩٧) « تركنوا » بضم الكاف ، مع أن قراءة الجمهور بفتح الكاف ، وذلك لأن ضم الكاف لغة تميم وقيس(١٩٨) ومعروف أنهما من أفصح العرب .

د - ولقد كان قتادة يخالف أحيانا المشهور العربى ويتبع المدرسة البصرية فى مذهبها ، والأمر واحد سواء مع المشهور أو مع المدرسة ، لأن المدار كله على النظرة اللغوية ، فمثلا نجد يقرأ قوله تعالى : « وقالوا ما فى بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا»(١٩٩) : «خالصة » بالنصب على الحال من الضمير فى الظرف الذى هو صلة لـ « ما » ، وخبر المبتدأ محذوف كقولك الذى فى الدار قائما زيد ، وذلك على مذهب البصريين(٢٠٠) كما

-
- | | |
|----------------------------|---------------------|
| • (١٩٤) تفسير القرطبى ٩٢/٦ | • (١٩٥) الانعام/١٣٨ |
| • (١٩٦) تفسير القرطبى ٩٤/٧ | • (١٩٧) هود/١١٣ |
| • (١٩٨) القرطبى ١٠٨/٩ | • (١٩٩) الانعام/١٣٩ |
| • (٢٠٠) القرطبى ٩٦/٧ | |

قرأ قوله تعالى : « هيت لك » (٢٠١) : و « هئت لك » (٢٠٢) بالهمز ثم بكسر الهاء وضم التاء ، بمعنى تهيأت لك وتزينت وتحسنت ، من قول القائل : هئت للأمر أهىء هيئة ، وهى قراءة وان كانت غير مرضية لأنها لم تسمع فى العربية - قال الكسائى : « لم تحك هئت عن العرب (٢٠٢) - الا أن قتادة أخذ بها متابعة لمذهب البصريين ، والبصرة مدرسته العلمية ، يقول البصريون : يقال هاء الرجل يهأ ويهيهأ هياة ، فهأ مثل جاء يحيىء ، وهئت مثل جئت (٢٠٤) : فالمسألة اذن مسألة قياس لغوى .

(ه) وأحيانا نجد المعنى هو الأساس فى قراءة قتادة ، فقد قرأ قوله تعالى : « أن جاءوكم حصرت صدورهم » (٢٠٥) : حصرة صدورهم « (٢٠٦) ، فى موضع خفض ، أى كارهة صدورهم ، على النعت لقوم . وقرأ قوله تعالى : « بل متعت هؤلاء وآباءهم حتى جاءهم الحق ورسول مبين » (٢٠٧) : « متعت (٢٠٨) على سبيل الخطاب ، لا على سبيل المتكلم كما يقرأ الجمهور ، وذلك لأنه يرى أن تفسير الآية هو أن « هذا قول أهل الكتاب لهذه الامة » . وقرأ قوله تعالى : « قال هذا صراط على مستقيم » (٢٠٩) : « على » (٢١٠) بالرفع والتنوين ، ومعناه رفيع مستقيم ، رفيع فى الدين والحق أو رفيع أن ينال ، مستقيم أن يمال . وقرأ قوله تعالى : « يلتقطه بعض السيارة » ، بالتاء « تلتقطه » (٢١٢) ، لأن الفعل يعود على السيارة وهى مؤنث . وقرأ قوله تعالى : « كأن لم تغن بالأمس » (٢١٣) : « يغن » بالياء (٢١٤) ، يعود به على « زخرفها » وهو مذكر ، وهكذا .

(هـ) وكثيرا ما نجد قراءته وان اختلفت شكلا مع قراءة الجمهور الا أنها تنفق معها فى المعنى ، ويدخل الأمر فى باب اللغات بمعنى ، فمثلا قرأ قتادة قوله تعالى : « وآتوا النساء صدقاتهن » (٢١٥) ، بضم الضاد

- | | |
|------------------------|-----------------------------------|
| ٢٠١) يوسف/ ٢٣ . | ٢٠٢) تفسير ابن كثير/ ٣٠٧ . |
| ٢٠٣) القرطبي/ ٩/ ١٦٤ . | ٢٠٤) السابق نفسه . |
| ٢٠٥) النساء/ ٩٠ . | ٢٠٦) تفسير السيوطى ٢/ ١٩١ - ١٩٢ . |
| ٢٠٧) الزخرف/ ٢٩ . | ٢٠٨) تفسير السيوطى ٦/ ١٦ . |
| ٢٠٩) الحجر/ ٤١ . | ٢١٠) تفسير ابن كثير/ ٤/ ٤٥٣ . |
| ٢١١) يوسف/ ١٠ . | ٢١٢) القرطبي/ ٩/ ١٣٣ . |
| ٢١٣) يونس/ ٢٤ . | ٢١٤) تفسير القرطبي/ ٨/ ٣٢٨ . |
| ٢١٥) النساء/ ٤ . | |

وسكون الدال(٢١٦) ، وقراءة الجمهور بفتح الصاد وضم الدال ، ولكن هذا الاختلاف فى الشكل لا يستتبع اختلافا فى المعنى ، فالأمر كله تعدد فى اللغات ، وهى فى هذا الصدد بمعنى واحد . قال الأخفش : وبنو تميم يقولون « صدقة » والجمع « صدقات » ، وان شئت فتحت وان شئت اسكنت ، وقال المازنى : يقال « صداق » المرأة بالكسر ولا يقال بالفتح . ولكن حكى يعقوب وأحمد بن يحيى بالفتح عن النحاس(٢١٧) . وهكذا فرغم تعدد اللغات الا أنهم جميعا انفقروا على معنى واحد . وكذلك فى قوله تعالى : « أفحك الجاهلية ييغون »(٢١٨) ، فقد قرأ قتادة : « أفحك » بفتح الحاء والكاف والميم(٢١٩) ، وهى قراءة وان اختلفت أيضا فى الشكل مع قراءة الجماعة : الا أنها تتفق معها فى المعنى ، فالمعنى واحد فى كلتا القراءتين فقوله تعالى : « أفحك الجاهلية ييغون » هو بمعنى أفحك حكم الجاهلية ييغون . وهكذا نجد لقتادة كثيرا من الاختيارات القرآنية والتي لا تعارض قراءة الجمهور ولا ضرر منها ، وانما هى نوع من النظر واجتهاد ، يقرأ الجمهور قوله تعالى : « ان تصعدون ولا تلوون على أحد »(٢٢٠) ، بضم التاء وكسر العين فى « تصعدون » ، ويقرأ قتادة « ان تصعدون »(٢٢١) ، بفتح التاء والعين ، أى تصعدون الجبل ، وكلتا القراءتين صواب ، والأمر لا يعدو اختلافا شكليا بسيطا ، قال أبو حاتم : « أصعدت اذا مضيت حيال وجهك ، وصعدت اذا ارتقيت فى جبل أو غيره . فالاصعاد : السير فى مستو من الأرض ويطون الأودية والشعاب(٢٢٢) . والصعود : الارتفاع على الجبال والسطوح والسهال والدرج ، [وعلى هذا] فيحتمل أن صعودهم فى الجبل بعد اصعادهم فى الوادى » ، أى أن القراءتين صحيحتان تصعدون أو تصعدون ، ولقد كان كل من الصاعد والمصعد منهزما فى أحد . بل ان هناك من ساوى بين القراءتين فى المعنى مساواة تامة : قال المفضل : صعد وأصعد وصعد بمعنى واحد(٢٢٣) .

(ز) وأحيانا نجد لقراءة قتادة الوجه البعيد ، ومن ذلك مثلا انه قرأ قوله تعالى : « بل ادرك علمهم فى الآخرة بل هم فى شك منها بل هم

• (٢١٧) المصدر السابق نفسه ٢٢/٥

• (٢١٩) تفسير القرطبي ٢١٥/٦

• (٢٢١) تفسير القرطبي ٤٢٩/٤

• (٢٢٣) الصالح ٢٤٠/٤

• (٢١٦) تفسير القرطبي ٢٤/٥

• (٢١٨) المائدة/٥٠

• (٢٢٠) آل عمران/١٥٣

• (٢٢٢) السابق نفسه

منها عمون» (٢٢٤) : « بل أدرك » (٢٢٥) ، بمعنى : ما أدرك ، على الإنكار فقد فهم من تكرار «بل» : قصد النفي ، ويكون المراد ان من قراءته : لم يدرك علمهم علم الآخرة ، أو ضل وغاب علمهم في الآخرة فليس لهم فيها علم ، أو لم ينفذ لهم الى الآخرة علم ، وهو وجه بعيد كما ترى .

(ح) وأحيانا نجد قتادة يذكر في تفسيره قراءة غيره ويستعين بها في التفسير أو ربما يأتي بها على سبيل الاستشهاد ، وأكثر من يأتي له بقراءة أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود ، ومعروف أن كلا منهما كان يقرأ بقراءة خاصة ، وأنه كان لكل منهما مصحف خاص به ، كما نجد كثيرا من القراءات الأخرى والتي لا يذكر قتادة مصدرها وأصحابها ، ويكتفى بقوله : « وفي بعض القراءة » أو « وفي بعض الحروف » .

فها هو يفسر قوله تعالى : « ولبثوا في كهفهم » (٢٢١) ، فيقول : « في حرف ابن مسعود » : « وقالوا ولبثوا » - بزيادة كلمة « وقالوا » ، فقتادة يأتي بقراءة ابن مسعود هنا ليستعين بها في تفسيره ، فيقول : « يعني أنه قال الناس ، ألا ترى أنه قال : « قل الله أعلم بما لبثوا » . وفي قوله تعالى : « واذ اعتزلتموهم » (٢٢٧) ، يقول : « وهى فى مصحف عبد الله [بن مسعود] « وما يعبدون من دون الله » ، ثم يعقب على هذه القراءة بقوله : « هذا تفسيرها » ، وفي قوله تعالى : « فصيام ثلاثة أيام » (٢٢٨) ، يقول قتادة : « وفي بعض القراءة : « فصيام ثلاثة أيام متتابعات » ، ويقول الطبرى « وبه كان يتخذ قتادة » (٢٢٩) ، وفي قوله « آلهتنا خير أم هو » (٢٢٠) ، يقول : « فى حرف أبى بن كعب : « وقالوا آلهتنا خير أم هذا » ، يعنون محمدا (ص) » .

وهكذا ، يفسر قوله تعالى : « فانذكروا اسم الله عليها صواف » (٢٢١) ، بقراءة ابن مسعود فيقول : « فى حرف ابن مسعود : « صوافن » أى معقلة

(٢٢٤) النمل/٦٦ .

(٢٢٥) تفسير الطبرى ٦/٢٠ ، وتفسير السيوطى ١١٤/٥ ، ونقلها محتقو تفسير ابن

كثير « ادارك » من مخطوطة الازهر وهو خطأ/٦/٢١٧

(٢٢٦) الكهف/٢٥ .

(٢٢٧) الكهف/١٦ .

(٢٢٨) المائدة/٨٩ .

(٢٢٩) تفسير الطبرى ٧/١٩ .

(٢٣٠) الزخرف/٥٨ .

(٢٣١) الحج/٣٦ .

قياماً ، ، وقوله تعالى : « وانتصروا من بعد ما ظلموا » (٢٢٢) ، بأنه « فى بعض القراءة ، « وانتصروا بمثل ما ظلموا » . وقوله تعالى : « ولم يجعل له عوجاً » (٢٢٣) ، بأنه « فى بعض القراءة : « ولكن جعله قيماً : ، وقوله تعالى : « وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون » (٢٢٤) ، بأنه « فى بعض الحروف : « كأنكم تخذون » ، وقوله تعالى : « يا حسرة على العباد » (٢٢٥) ، بأنه فى بعض الحروف : « يا حسرة على أنفسها » ، وقوله تعالى : « انا جعلنا فى أعناقهم أغلالاً » (٢٢٦) ، بأنه « فى بعض القراءات : « انا جعلنا فى إيمانهم أغلالاً » ، وقوله تعالى : « يحفظونه من أمر الله » (٢٢٧) ، بأنه فى بعض القراءة « يحفظونه بأمر الله » وهكذا .

اذن ، وجدنا قتادة فى استعانته بالمقراءات فى تفسيره اما أن تكون القراءة للمظاهر من معنى الآية ، أو لأمر لغوى ، أو متابعة للمدرسة البصرية ، أو على أساس المعنى ، أو اختلاف شكلى مع الاتفاق فى المعنى مع الجمهور ، وأحياناً مخرجة لوجه بعيد ، كما استعان بقراءات أخرى لغيره .

٦ - التفسير والفقہ :

هناك نظرات فقهية عديدة تصادفنا فى تفسير قتادة ، فهو تلميذ نجيب لمدرسة الفقه ذات المنزع العقلى . والتي أرسى أساسها عبد الله بن مسعود ، فنحن نجد لقتادة كثيراً من التفسيرات الفقهية المبنية على نظر واسع وإيمان قوى .

وقتادة فى نظراته الفقهية يتبع التدرج المنهجى الإسلامى من الاستعانة بالقرآن فالحديث فاقوال الصحابة ، ثم يعمل فكره الخاص .

فهاهو يتبع آيات القرآن الكريم وما ترحيه له من معان ودلالات . ففى قوله تعالى : « وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها » (٢٣٨) ، يرى قتادة أن المصلى يرد السلام كلما إذا سلم عليه ولا يقطع ذلك عليه صلته لأنه فعل ما أمر به (٢٣٩) ، فهو اذن يعتبر الامر الالهي فى قوله « فحيوا » هو أمر نافذ ، ولو كان المسلم فى صلته . ولعلنا لاحظنا أنه يتمسك بالمظاهر ،

- | | |
|---------------------|-----------------------------|
| • (٢٣٢) الشعراء/٢٢٧ | • (٢٣٣) الكهف/١ |
| • (٢٣٤) الشعراء/١٢٩ | • (٢٣٥) يس/٣٠ |
| • (٢٣٦) يس/٨ | • (٢٣٧) الرعد/١١ |
| • (٢٣٨) النساء/٨٦ | • (٢٣٩) تفسير القرطبي/٥/٢٩٩ |

وهكذا كان منهجه ظاهريا في أغلب نواحي التفسير والفقه ، فعندما سئل عن ذبائح نصارى بنى تغلب ، قال : « لابس بها » ، فهو اذن يأخذ بظاهر الآية القائلة : « وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم » (٢٤٠) .

وأما من ناحية الحديث الشريف ، فقد كان قتادة كذلك يستعين به في نظراته التفسيرية الفقهية ، وعلى سبيل المثال ، فقد قال رسول الله (ص) : « ما من مولود يولد الا نخسه الشيطان ، فيستهل (٢٤١) صارخا من نخسة الشيطان الا ابن مريم وأمه » (٢٤٢) ، وعندما يتعرض قتادة للموقف الفقهي فى مسألة الوراثة ، نجده يرى أن المولود أن خرج من بطن أمه حيا لا ميراث له وان تحرك وعطس ، مالم يستهل ثم مات ، فقد أخذ قتادة اذن شرط الاستهلال من ظاهر حديث رسول الله (ص) ، واعتبر الاستهلال هو شرط كون وجود المولود وكون وجود حق له . وفى رأينا أن هذا الرأى من قتادة فيه ابعاد شديد وغريب على المنطق والعادة ، كما أن هذا الحديث لرسول الله (ص) يؤخذ على مأخذ الخبر وليس على أساس مصدر فقهي .

وقتادة وان خاناه الحظ فى هذه النظرة الفقهية ، فان له عديدا من النظرات الفقهية الاخرى التى استخدمها فى تفسيره والتى أقامها على أساس من استحياء الحديث الشريف ، فاذا كان رسول الله (ص) قد نهى أن يجمع الرجل بين زوجته وعمتها أو بين زوجته وخالتها ، وقال (ص) : « انكم اذا فعلتم ذلك قطعتم أرحامكم » (٢٤٣) فقتادة يمنع الجمع بين المرأة وقربيتها وسواء أكانت بنت عم أو بنت عمة أو بنت خال ، أو بنت خالة (٢٤٤) ، ذلك لأنه رأى شدة صلة القربى القائمة ، مما حدا به الى المنع ، استلهاما لحديث الرسول (ص) . واذا كان الرسول (ص) يقول : « الكلب الأسود شيطان » (٢٤٥) فان قتادة كان يكره الصيد الذى يرمى به الكلب الأسود تبعاً لهذا الحديث .

كذلك كان قتادة فى نظراته الفقهية يتبع ما جاء به الصحابة وكبار التابعين ، وعلى سبيل المثال نجده يرى كما رأى أبو بكر وعطاء وطاووس

(٢٤١) رفع صوته بالبكاء حين ولادته

(٢٤٠) المائة/٥ .

(٢٤٢) تفسير القرطبي/٥/١٣٦ .

(٢٤٣) تفسير القرطبي/٥/٦٥ .

(٢٤٤) سنن النسائي - باب القبلة ص ١٢٢ .

(٢٤٥) تفسير القرطبي/٥/١٢٦ .

(٢٤٦) تفسير القرطبي/٦/٦٧ .

والحسن ، أن الجد عند عدم وجود الأب كالأب سراء يحجبون به الأخوة كلهم ولا يرثون معه شيئاً (٢٤٧) .

ثم نجد لقتادة أيضاً كثيراً من النظرات الفقهية الخاصة به ، ففي قوله تعالى : « وأن تجمعوا بين الأختين إلا ما قد سلف » (٢٤٨) ، يرى أن الرجل إذا كان يطمح واحدة وأراد وطء الأخرى ، فإنه ينوى تحريم الأولى على نفسه وألا يقربها . ثم يمسك عنهما حتى يستبرىء الأولى المحرمة ، ثم يغشى الثانية (٢٤٩) . وفي قوله تعالى : « إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » (٢٥٠) ، يرى أنه إذا أكل الرجل لحم الخنزير وعرضت عليه التوبة . فإن تاب ، والا قتل (٢٥١) .

ونجد عنده شيئاً من التثديق العقلي في نظراته الفقهية ، فقد اثبت شبه العمد في القتل (٢٥٢) ولعله كان يسد بذلك كل منفذ للاجرام والقتل ، وكان يرى أن المسلم إذا ترك التسمية عند الذبح وعند الصيد عامداً أو ناسياً فلا شيء (٢٥٣) . ولعله كان يرى أن اسلامه يشفع له ، كذلك كان يرى أن المريض ليس له أن يستأنف وهو في شهرى التتابع (٢٥٤) ، وكأنه كان يعتبر في ذلك الرأفة والتخفيف .

وكذلك نجد له في تفسير قوله تعالى : « أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص » (٢٥٥) كثيراً من الدقائق العقلية ، فالدية كاملة في عين الأعور إذا فقئت (٢٥٦) لأن منفعة الأعور بعينه الواحدة ، وإذا كان رسول الله (ص) قد قال : « في العينين الدية » فإن عين الأعور بمثابة العينين للمسلم (٢٥٧) .

وربع الدية في جفن العين (٢٥٨) ، وثالث الدية في لسان الأخرس (٢٥٩) ، والسن بالسن لا فضل للثنايا منها على الأنياب والأضراس والرياعيات (٢٦٠) ،

-
- | | |
|-----------------------------|-----------------------|
| • (٢٤٧) تفسير القرطبي ٦٨/٥ | • (٢٤٨) النساء ٢٢ |
| • (٢٤٩) القرطبي ١١٨/٥ | • (٢٥٠) البقرة ١٧٣ |
| • (٢٥١) تفسير السيوطي ٢٠٦/٢ | • (٢٥٢) القرطبي ٣٢٩/٥ |
| • (٢٥٣) القرطبي ٧٥/٧ | • (٢٥٤) القرطبي ٣٢٨/٥ |
| • (٢٥٥) المائدة ٤٥ | • (٢٥٦) القرطبي ١٩٣/٦ |
| • (٢٥٧) القرطبي ١٩٥/٦ | • (٢٥٨) القرطبي ١٩٥/٦ |
| • (٢٥٩) القرطبي ١٩٧/٦ | • (٢٦٠) القرطبي ١٩٧/٦ |

وسن الصبى يقلع قبل أن يثغر (قبل أن تسقط أسنانه الرواضع) يستأن بها سنة حتى يعرف أتتبت أم لا ، ويكرن فيها قدرها تاما(٢٦١) ، وفى الهاشمة عشرا من الأبل ، والمنقلة(٢٦٢) لا قود فيها(٢٦٢) ، ولا قصاص فى اللطمة(٢٦٤) ، وفى عقل جراحات النساء تعاقل المرأة الرجل الى ثلث دية الرجل ، اصبعها كاصبعه وسنها كسنه وموضحتها كموضحته ومنقلتها كمنقلته ، فاذا بلغت ثلث دية الرجل ، كانت على النصف من دية الرجل(٢٦٥) .

ونلمح لديه كثيرا من النظرات الذفقيه الصائبة التى ضمنها تفسيره ، فالطفل الذى لم يظهر على عورات النساء(٢٦٦) ، هو الذى لم يحتلم ، والزينة فى قوله تعالى : « ولا يبدين زينتهن »(٢٦٧) ، هى :«الكحل والسواران والخاتم » ، « والقواعد من النساء »(٢٦٨) ، هن اللاتى انقطع عنهن الحيض ويئسن من الولد ، وأن « فصل الخطاب »(٢٦٩) ، « البينة على الطالب واليمين على المطلوب » ، وأن التسبيح بعد « ادبار النجوم »(٢٧٠) ، ركعتان قبل صلاة الصبح ، وما الى ذلك كثير .

وقد نصادف فى تفسير قتادة أثرا تفسيريا فقها يجمع تفاصيل قاعدة اسلامية ففقيه فى موضع واحد ، فمثلا عند تفسير قوله تعالى : « من قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الارض فكأنما قتل الناس جميعا »(٢٧١) يجمع قتادة حكم الاسلام على القتل والقاتل ، فيقول : « وانا لا نعمله يحل دم رجل مسلم من أهل هذه القبلة الا باحدى ثلاث : رجل كفر بعد اسلامه فعليه القتل ، أو زنى بعد احصائه فعليه الرجم ، أو قتل متعمدا فعليه القود » . وفى تفسيره لقوله تعالى : « فجعله نسبا وصهرا »(٢٧٢) ، يقول : « ذكر الله الصهر مع النسب ، وحرم أربع عشرة امرأة : سبعا فى النسب ، وسبعا من الصهر ، فاستترى تحريم الله من النسب والصهر » .

وأحيانا نجده يوسع النظرة الفقهية لتشمل أفاقا أبعد - وهذا قليل جدا ما نصادفه فهو ظاهرى محدود فى أكثر تفسيره ، ولعل من هذه

- | | |
|-----------------------------------|-----------------------------|
| • (٢٦٢) القرطبى ٢٠٥/٦ | • (٢٦١) القرطبى ١٩٨/٦ - ١٩٩ |
| • (٢٦٤) القرطبى ٢٠٦/٦ | • (٢٦٢) القرطبى ٢٠٦/٦ |
| • (٢٦٦) تنظر آية ٢١ من سورة النور | • (٢٦٥) القرطبى ٢٠٧/٦ |
| • (٢٦٨) النور/٦٠ | • (٢٦٧) النور/٣١ |
| • (٢٧٠) الطور/٤٩ | • (٢٦٩) سورة ص/٣٠ |
| • (٢٧٢) الفرقان/٥٤ | • (٢٧١) المائدة/٣٢ |

النظرات الواسعة ، قوله فى تفسير الآية الكريمة : « غير مضار » (٢٧٢) :
« وصية من الله ان الله تبارك وتعالى كره الضرر فى الحياة وعند الموت ،
ونهى عنه وقدم فيه فلا تصلح مضارة فى حياة ولا موت » ، وأيضاً قوله
فى تفسير الآية الكريمة « فان تنازعتم فى شئ فردوه الى الله والرسول » (٢٧٤) :
« ردوا ذلك الحكم الى كتاب الله والى رسوله : بالسؤال فى حياته أو بالنظر
فى سنته بعد وفاته صلى الله عليه وسلم » (٢٧٥) .

وهكذا ، كان التفسير الفقهى لقتادة ، ينحو النحو الاسلامى ، من
الاستعانة بالقرآن فالمحدث فأقوال الصحابة وكبار التابعين ، ثم النظر
الخاص ، وهو كما رأينا بسيط لا يكون مدرسة فقهية بالمعنى المفهوم لكلمة
مدرسة ، وانما هى نظرات فقهية متناثرة ، لا يجمعها الا رباط من الاجتهاد
المحدود الصائب فى كثير من الأحيان ، ولا بد من وجود هذه النظرات
الفقهية الخاصة فى ذلك الوقت والذى لم يزل حينئذ مبكرا ، وذلك تأثرا
بنشاط ابن مسعود الذى بلا شك كان له صدها فى كافة الدوائر العلمية
فى ذلك العصر .

٧ - التفسير بالناسخ والمنسوخ :

النسخ قضية من أهم قضايا القرآن ، والمفسرون عموماً يهتمون
بالناسخ والمنسوخ فى تفسيرهم اهتماماً كبيراً ، وقتادة فى تفسيره
يهتم أيضاً بالناسخ والمنسوخ ، ويعول عليه فى تفسير آيات عديدة ويذكر
الناسخ والمنسوخ كأدوات توضيحية فى تفسيره .

فكثيراً ما نجده يقول ان هذه الآية نسختها آية كذا ، أو أن هذه
الآية منسوخة بآية كذا ، وسوف نعرض هنا لموقف قتادة من قضية النسخ
فى القرآن كما يفصح عنها تفسيره ، كما سنعرض أيضاً لأهم المواضع التى
قال فيها قتادة بالنسخ وتناولها بالدرس والتحقيق .

(أ) معانى النسخ عند قتادة :

كان قتادة يرى أن النسخ هو الإزالة ، أو التبديل ، أو المحو والاثبات
أو النقل من موضع الى موضع آخر :

• (٢٧٤) النساء/٥٩ .

• (٢٧٢) النساء/١٢ .

• (٢٧٥) القرطبي/٥/ ٢٦١ .

١ - فهو عندما يفسر قوله تعالى: « ما ننسخ من آية أو ننسها » (٢٧٦)، يقول : « كان ينسخ الآية بالآية التي بعدها ويقراً نبي الله (ص) الآية أو أكثر من ذلك ، ثم تنسى وترفع » ، وفى رواية أخرى يقول قتادة : « كان الله تعالى ذكره ينسى نبيه (ص) ما شاء وينسخ ما شاء » ، ويستشهد قتادة على ذلك بحديث لأنس بن مالك رضى الله عنه فيقول : « حدثنا أنس ابن مالك أن أولئك السبعين من الأنصار الذين قتلوا ببئر معونة قرأنا بهم وفيهم كتابا « بلغوا قومنا أننا لقينا ربنا فرضى عنا وأرضانا » ثم أن ذلك رفع» .
فقتادة فى هذا يرى أن من معانى النسخ اذن : الازالة ، أو الانسَاء

٢ - وعندما يفسر قتادة قوله تعالى: «وإذا بدلنا آية مكان آية» (٢٧٧)، يقول : هو كقوله : « ما ننسخ من آية أو ننسها » واذن فهو يرى أن من معانى النسخ : التبدیل .

٣ - وعندما يفسر قوله تعالى : « وعنده أم الكتاب » (٢٧٨) ، يقول : « جملة الكتاب وأصله » ، مما يفهم أن ما كان ينزل من القرآن على الرسول (ص) منجما ، انما نسخة مستنسخة من القرآن المحفوظ فى السماء ، يقول تعالى : « بل هو قرآن مجيد . فى لرح محفوظ » (٢٧٩) ، ويقول عز وجل : « فى كتاب مكنون لا يمسه الا المطهرون » (٢٨٠) ، وقتادة عندما يفسر هذه الآية يقول : « ذاكم عند رب العالمين . فأما عندكم فيمسه المشرك النجس والمنافق الرجس » .

واذن ، فقتادة يرى هنا ان من معانى النسخ : الغفل من موضع الى موضع ، حذفك نسخت الكتاب .

٤ - وعندما يفسر قوله تعالى: «يمحوا الله ما يشاء ويثبت وعنده أم الكتاب» (٢٨١) يقول : « هو مثل قوله : « مانسخ من آية أو ننسها ، وعلى هذا فهو يرى ايضا أن من معانى النسخ : المحو والاثبات .

وهكذا كان قتادة يرى للنسخ أربعة معان : الازالة أو الانسَاء ، والتبدیل ، والنقل ، والمحو والاثبات .

-
- | | |
|-----------------------|-------------------|
| • (٢٧٦) البقرة/١٠٦ | • (٢٧٧) النحل/١٠١ |
| • (٢٧٨) الرعد/٢٩ | • (٢٧٩) البروج/٢١ |
| • (٢٨٠) الواقعة/٧٨-٧٩ | • (٢٨١) الرعد/٣٩ |

ويظهر لنا من خلال هذا العرض ثلاث نقاط مهمة :

النقطة الأولى : أن قتادة يرى أن المراد بالآية هنا هو الآية القرآنية، وليس المراد بها أى معنى اشتقاقى آخر .

النقطة الثانية : أن قتادة يرى أن النسخ قد وقع بالفعل فى القرآن ، وليس النسخ مسأله وهمية ولا مجازية .

النقطة الثالثة : أن قتادة يعترف بمنسوخ الحكم واللفظ والتلاوة .

(ب) أهم دعاوى النسخ عند قتادة :

يمكن أن نقسم أهم دعاوى النسخ عند قتادة الى قسمين رئيسيين :
قسم يدور حول الآيات التى قال انها نسخها القتال ، وقسم آخر يحتوى على بقية المسائل الاخرى المتنوعة .

القسم الأول :

١ - قوله تعالى : « **وذر الذين اتخذوا دينهم لعبا ولهوا** » (٢٨٢) :
قال قتادة « ثم أنزل الله تعالى ذكره ، براءة ، وأمر بقتالهم . فقال :
« فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » (٢٨٢) .

فهو يرى قوله تعالى : « **وذر الذين** » منسوخا بقوله تعالى « فاقتلوا المشركين » .

ولكن يحتمل أن تكون الآية على معنى التهديد ، ولقد جاء فى نفس الآية : « **أولئك الذين أبسلوا بما كسبوا لهم شراب من حميم وعذاب أليم بما كانوا يكفرون** » ، وقال أبو جعفر النحاس : البين فيه أنه ليس بمنسوخ وأنه على معنى التهديد لمن فعل هذا ، ذره ، فإن الله مطالبه ومعاقبه (٢٨٤) .

٢ - قوله تعالى : « **وان جنحوا للسلم فاجنح لها** » (٣٨٥) :
قال قتادة : « وكانت هذه قبل براءة ، كان نبي الله (ص) يوادع

• (٢٨٢) الانعام/ ٧٠

• (٢٨٤) التوبة/ ٥

• (٢٨٤) الناسخ والمنسوخ - انظر موضع الآية

• (٢٨٥) الانفال/ ٦١

القوم الى أجل، فاما أن يسلموا واما أن يقاتلهم ، ثم نسخ ذلك بعدفى براءة، فقال : « اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » ، ونبذوا الى كل ذى عهد عهده فى براءة ، وأمر بقتالهم حتى يقولوا لا اله الا الله ويسلموا ولا يقبل منهم الا ذلك ، وكل عهد كان فى هذه السورة وفى غيرها ، وكل صلح يصلح به المسلمون المشركين يتوادعون ، فان براءة جاءت بنسخ ذلك ، فأمر بقتالهم على كل حال حتى يقولوا لا اله الا الله » .

فقتادة يرى أن قوله تعالى : « وان جنحوا للسلم » منسوخ بقوله تعالى : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » .

وحقا ، فان لكل جواد كبوة ولكل عالم هفوة ، لقد جانب الصواب مفسرنا قتادة فى رفعه دعوى النسخ على هذه الآية ، للأسباب الآتية :

أولا - الاسلام دين سلام لا دين حرب ، فكيف يأمر بحرب من مال للسلام ؟

ثانيا - تقول الآية ان جنحوا هم للسلم ، فهم اذن من بدأوا بالجنوح فشرط الصغار عندهم موجود ، وشرط عزة الاسلام عندنا موجود أيضا .

ثالثا - الجنوح كان للسلام فلم الحرب اذن ؟

رابعا - اذا كانوا قد جنحوا للسلم فقد آثروا السلامة ، واذن فهم لن يمتنعوا عن أداء الجزية مثلا ، فلم قتالهم اذن ؟

خامسا - هذه الآية نزلت فى بنى قريظة ، فهم يهود أهل كتاب ، وفى الاسلام اذن بمصالحة أهل الكتاب على الجزية ، أما آية « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » فهى للمشركين عامة ولمشركى العرب من عبدة الأوثان خاصة والذين لا يمكن قبول جزية منهم ، فكيف تطابق هذه الآية بتلك ؟

سادسا - الحكم بقتل المشركين لا ينفى الحكم بقبول الصلح ان رفعوا أيديهم بالسلام ، والناسخ لا يكون الا بان ينفى المنسوخ من كل وجه .

وهكذا جانب الصواب مفسرنا قتادة فى قوله بنسخ « وان جنحوا للسلم » ، وقد قسا الطبرى فى حكمه على قتادة فقال : « فاما ما قاله

قتادة ومن قال مثل قوله ان هذه الآية منسوخة : فقول لا دلالة عليه من كتاب ولا سنة ولا فطره عقل «(٢٨٦) .

وافرول : سماح الله فنادة .

٣ - قوله تعالى : « فاما منا بعد واما فداء »(٢٨٧) :
هنا قتادة : « كان المسلمون اذا لاقوا المتركين قاتلوهم ، فاذا أسروا منهم أسيرا ، فليس لهم الا أن يفادوه أو يمنوا عليه تم يرسلوه ، فنسخ ذلك بعد قوله : « فاما تتقنهم في الحرب فشردهم بهم من خلفهم »(٢٨٨) .

فهو يرى إذن أن قوله تعالى « فاما منا بعد واما فداء » منسوخ بقوله تعالى : « فشردهم بهم من خلفهم » .

ولكن أجمع العلماء على أن الوالي له الخيار : اما أن يقتل الأسير أو يمن عليه أو مفادته (أو استرقاقه عند الشافعي) (٢٨٩) والمأثور عن رسول الله (ص) أنه كان يفعل ذلك : فالرسول (ص) أمر بقتل عقبة ابن بى عبيط (٢٩٠) وفادى أسارى بدر. ومن على ثمامة بن أثال الحنفي (٢٩١) .
وهكذا ، فدعى النسخ مردودة .

٤ - قوله تعالى : « ولا تقاتلوهم عند المسجد الحرام حتى يقاتلوكم فيه »(٢٩٢) :

قال قتادة : « ثم نسخ بعد ذلك فقال : « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة » (٢٩٢) .

وصحيح أن الآية لا تصرح بمسألتهم ، ولكنها أيضا لا توجب قتالهم الا اذا بدأوا هم بالقتال ، فالنهي في الآية نهى عن البدء بقتالهم في المسجد الحرام لحرمته ، فالأمر بقتالهم عام ، ولكن النهى خاص بالحرم ، فلا وجه إذن للقول بالنسخ ، ومذهب الجمهور في التخصيص أنه يجوز بالسابق وباللاحق كما يجوز بالمقارن .

-
- | | |
|--------------------------------|--------------------------------|
| • (٢٨٧) محمد/٤ | • (٢٨٦) تفسير الطبرى ٤٢/١٤ |
| • (٢٨٩) تفسير ابن كثير ١٧٣/٤ | • (٢٨٨) الانفال/٥٧ |
| • (٢٩١) السيرة لابن هشام ٦٣٨/٤ | • (٢٩٠) السيدة لابن هشام ٦٤٤/٢ |
| • (٢٩٢) البقرة/١٩٣ | • (٢٩٢) البقرة/١٩١ |

٥ - « فان اعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا اليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلا» (٢٩٤) :

قال قتادة « ثم نسخ ذلك بعد فى براءة وأمر نبيه (ص) أن يقاتل المشركين بقوله : « فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم » .

ودعوى النسخ هنا مردودة أيضا وذلك للأسباب الآتية :

أولا : يقول الله : « وألقوا اليكم السلم » ، أى جنحوا للسلم ، فهذا شرط الجنوح للسلم ، وقد رأينا أن من جنح للسلم لا يقاتل .

ثانيا : توضح الآية أنهم هم البادئون بالاعتزال والجنوح فشرط الصغار عندهم موجود ، وشرط عزة الاسلام موجود عندنا أيضا ، فلم القتال اذن ؟

ثالثا : يقول الله : « فان اعتزلوكم » ، وهنا كما رأينا شرط الاعتزال والكف ، وقد أقر الاسلام أن العدو اذا بعد لا يقاتل وكان الرسول (ص) اذا تقابل الصفان لا يأمر المسلمين ببدء القتال ، واذا انفرج الفريقتان لا يأمر بمعاودة الكرة .

رابعا : الشروط الاستثناءات فى الآية تنفى دعوى النسخ ، يقول الله : « فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم » ثم يقول : « الا الذين يصلون الى قوم بيكم وبينهم ميثاق » ويقول : « أو جاءكم حصرت صدورهم أن يقاتلوكم » ويقول : « فان اعتزلوكم » .

خامسا : ومما يؤكد ذلك أنهم لم نقضوا الشروط خرجوا من الاستثناءات ووجب السيف ، يقول تعالى : « فان لم يعتزلوكم ويلقوا اليكم السلم ويكفوا أيديهم ، فخذوهم واقتلوهم حيث تقضتوهم وأولئكم جعلنا لكم عليهم سلطانا مبينا » ونلاحظ قوله تعالى : « وأولئكم » مخصصا ايهم لا غيرهم .

سادسا : تتحدث الآية عن المنافقين ، وقد عرفنا من السيرة أن الرسول (ص) لم يكن يأمر بقتلهم حتى لا يتحدث التاريخ أن محمدا (ص) يقتل أصحابه (٢٩٥) .

ولهذه الأسباب رأينا أن نرد دعوى النسخ .

٦ - قوله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن » (٢٩٦) .

قال قتادة : « ثم نسخ بعد ذلك فأمر بقتالهم فى سورة براءة . ولا مجادلة أشد من السيف حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله (ص) أو يقرؤا بالخراج » .

ولكننا اذا نظرنا فى الآية الكريمة لوجدنا فى آخرها استثناء من الله ، يقول تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم » ، واذن فالآية تقسم أهل الكتاب فريقين : فريق قبل الجدل ، ولربما كان العقل والمنطق السليم وراء هذا الجدل فيؤمنوا ، واذن لا موجب للسيف هنا ، وفريق آخر هم الذين ظلموا ، ومن ظلم حق عليه السيف ، وكذلك يجب السيف على من خرج من الجدل الى الظلم أى من الفريق الأول الى الفريق الآخر .

٧ - قوله تعالى : « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا اليهم ان الله يجب المقسطين : » (٢٩٧) .

قال قتادة : « نسختها » فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم ، ودعوى النسخ هنا مردودة كذلك للأسباب الآتية :

أولا : الأمر الالهى بعدم النهى عن بر هؤلاء هنا أمر قوى .

ثانيا : ان الله يحب المقسطين، وليس بحرام أن يبر المؤمن رجلا يحاربه، طالما لم يكن فى ذلك عورة له ، ولقد كانت مروءة المسلمين فى القتال مضرب الأمثال ، والبر والرحمة والانسانية لا يمكن أن يقول أحد بنسخها فكيف بالاسلام وهو دين البر والرحمة والانسانية ؟

ثالثا : لا يجب أن نغفل أن هؤلاء لم يقاتلوا بعد ولم يطفوا فلم يخرجوا المؤمنين من ديارهم ، واذن فهم وان كانوا فى الحقيفة أعداء ، فان الامر حيالهم يكون بتمييزهم بين الثلاثة : الاسلام ، أو الجزية ، أو القتال ، وكان قواد المسلمين على هذه السنة .

رابعا : نزلت آية المتحنة فى أسماء بنت أبى بكر ، فقد زارتها أمها قديلة بنت عبد العزى ومعها هدايا ، ورفضت أسماء وقالت لأمها : لا أقبلك

هدية ولا تدخل على حتى يأذن رسول الله (ص) ، فذكرت ذلك عائشة لرسول الله (ص) فنزلت هذه الآية ، فاذن لم يأمر الله بقتالها وإنما أمر بالبر لها .

وهكذا نرد ما قاله قتادة من النسخ .

٨ - قوله تعالى : « قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله ليجزي قوما بما كانوا يكسبون(٢٩٨) » :

قال قتادة : « نسختها ما فى الانفال » فاما تتقفنهم فى الحرب فشردهم وفى براءة : وقاتلوا المشركين كافة(٢٩٩) . « أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن اله لا الله وأن محمدا رسول الله » .

ولكن الأمر الالهى بالغفران لهؤلاء هنا أمر قوى، كما أنه طالما كان هناك أمر للمؤمنين بالغفران لهم ، فدعوى النسخ مردودة ، والا ، فكيف يكون سيف ؟ وكيف يكون غفران ؟

٩ - قوله تعالى : « فاعف عنهم واصفح »(٣٠٠) :

قال قتادة : « لم يؤمر يومئذ بقتالهم ، فأمر الله عز ذكره أن يعفو عنهم ويصفح ، ثم نسخ ذلك فى براءة فقال : « قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون »(٣٠١) ، وهم أهل الكتاب ، فأمر الله جل ثناؤه نبيه (ص) أن يقاتلهم حتى يسلموا أو يقرؤا بالجزية » .

ولكن من المحتمل ألا تكون الآية منسوخة ، وتكون على معنى أن الصفح يدوم طالما لم يغدروا ولم يخرجوا للحرب ولم يمتنعوا عن أداء الجزية والاقرار بالصغار ، فهم أهل كتاب ، وطالما كان ذلك منهم لم يحاربوا .

• (٢٩٩) التوبة/٣٦

• (٣٠١) التوبة/٢٩

• (٢٩٨) الجاثية/١٤

• (٣٠٠) المائدة/٩٣

١٠ - قوله تعالى : « فاصفح الصفح الجميل » (٢٠٢) :

قال قتادة : « ثم نسخ ذلك بعد فأمره الله تعالى ذكره بقتالهم حتى يشهدوا أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسله ، لا يقبل منهم غيره » .
« ولكن السياق النفسى فى الآية يوحى بأنها مواساة وعزاء من الله سبحانه وتعالى لنبيه (ص) ، ودعوة الى الحلم والصبر والتسامح .

١١ - قوله تعالى : « فاصفح عنهم » (٢٠٢) :

قال قتادة : « قال اصفح عنهم ثم أمر بقتالهم » .
ولكن يبدو واضحا فى الآية أنها دعوة الى التسامح والصبر ، وخاصة أن الله قد ترعدهم بالعقاب فيما بعد فى هذه الآية فقال : « فسوف يعلمون » .

القسم الثانى : مسائل متفرقة :

١٢ - قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته » (٢٠٤) :

قال قتادة : « نسختها هذه الآية التى فى التغابن » : « فاتقوا الله ما استطعتم » (٢٠٥) .

ودعوى النسخ هنا مردودة للأسباب الآتية :

أولا : يظهر أن قوله : « ما استطعتم » هو تبيين وتوضيح لقوله « حق تقاته » ، إذ يذكر المفسرون أنه لما نزلت : « اتقوا الله حق تقاته » فزع الكثيرون من صحابه وتخوفوا ألا يقوموا بذلك حق القيام ، فنزلت « ما استطعتم » تبيينا وتوضيحا ، ولا يكون المبين أو الموضح ناسخا .

ثانيا : وأيضا ، فقوله تعالى : « ما استطعتم » تخفيف ويسر ، وقد فهم قتادة ذلك وذكره فى تفسيره فقال : « ثم انزل التخفيف واليسر وعاد بعائده ورحمته على ما يعلم من ضعف خلقه ، فقال : « فاتقوا الله ما استطعتم ، فجاءت هذه الآية فيها تخفيف وعاقبة ويسر » ، ولا يكون التخفيف والتيسير ناسخا .

ثالثا : وعلى هذا ، فقوله تعالى « حق تقاته » ليس كقوله تعالى « ما استطعتم » من ناحية النسخ ، لأن الناسخ لا بد أن يكون مخالفا للمنسوخ من جميع جهاته ورافعاه ومزيلا لحكمه .

• (٢٠٢) الزخرف/ ٨٩

• (٢٠٢) الحجر/ ٨٩

• (٢٠٥) التغابن/ ١٦

• (٢٠٤) آل عمران/ ١٠٢

١٣ - قوله تعالى : « والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء » (٢٠٦) :

قال قتادة : « كان أهل الجاهلية يطلق أحدهم ليس لذلك عدة ، فجعل عدة الطلاق ثلاث حيض ، ثم انه نسخ منها المطلقة التي طلقت ولم يدخل بها زوجها ، فقال فى سورة الأحزاب : « يأيتها الذين آمنوا اذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن فما لكم عليهن من عدة تعتدونها فتمتعوهن وسرحوهن سراحا جميلا » (٢٠٧) ، فهذه تزوج ان شاءت من يومها ، وقد نسخ من الثلاثة فقال : « واللأى يئسن من المحيض من نسائكم ان ارتبتم » (٢٠٨) ، فهذه : العجوز التي لا تحيض ، « واللأى لم يحضن » فعدتهن ثلاثة أشهر « أجلهن أن من أمرها فى شىء » ونسخ من الثلاثة قروء الحمل ، فقال : « أجلهن أن يضعن أحمالهن » ، فهذه ليست من القروء فى شىء انما أجلها أن تضع حملها .

وكما هو واضح من تفسير قتادة ، فان استثناءات المطلقة : البكر التي لم يدخل بها ، واليائسة من المحيض ، والحامل ، انما هى أنوا عنم التفصيل وعلى سبيل التخصيص ، وليست بنواسخ .

١٤ - قوله تعالى : « والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبتهم » (٢٠٩) :

قال قتادة : « كان الرجل فى الجاهلية يعاقد الرجل فيقول : دمي دمك وترثنى وأرثك وتطلب بى وأطلب بك ، فلما جاء الاسلام ، بقى منهم ناس ، فأمروا أن يأتيهم نصيبهم من الميراث وهو السدس ، ثم نسخ ذلك بالميراث فقال : « وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله » (٢١٠) .

ولكن هذه الدعوى مردودة كذلك ، وقد فسر قتادة قوله « والذين عقدت أيمانكم » بأنهم « هم الحلفاء » ، ويكون المعنى على ذلك أن الحلفاء الذين عقدت أيمانهم من الحلف آتوهم نصيبهم من النصرة والمؤازرة والمعونة والرأى والنصيحة ، وليس بشرط اعطائهم الميراث فحسب ، بل إن أحلاف

• (٢٠٧) الاحزاب/٤٩

• (٢٠٩) النساء/٣٣

• (٢٠٦) البقرة/٢٢٨

• (٢٠٨) الطلاق/٤

• (٢١٠) الانفال/٧٥

الجاهلية التي قامت على نجدة المهوف ومد يد العون للمحتاج ونصرة المظلوم : لم يزلها الاسلام الا شدة كما قال الرسول (ص) ، وقال (ص) : « لقد شهدت فى دار عبد الله بن جدعان حلقا ما أحب أن لى به حمر النعم ، ولو دعى به فى الاسلام لأجبت (٢١١) ٠٠ فكيف يكون الامر كذلك ، وتنسخ الآية التي تعطى الحلف حقهم ؟ ٠٠

١٥ - قوله تعالى : « ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » (٢١٢) :

قال قتادة : « كان » الفيء « فى هؤلاء ، ثم نسخ ذلك فى سورة الأنفال ، فقال : « واعلموا أن ما غنمتم من شىء فان لله خمسة وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل (٢١٣) ، فنسخت هذه ما كان قبلها فى سورة الحشر ، وجعل الخمس لمن كان له الخمس فى سورة الحشر .

ولكن سورة الحشر نزلت بعد سورة الأنفال بسنة (٢١٤) ، فكيف ينسخ المتقدم المتأخر ؟

١٦ - قوله تعالى : « ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكرا ورزقا حسنا (٢١٥) :

فسر قتادة السكر هنا بالخمير ، وقال « هى خمور الأعاجم » ، ثم صرح بأن الآية منسوخة بقوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » (٢١٦) .

ويمكن رد هذه الدعوى للأسباب الآتية :

أولا : تفسير السكر بالخمير أمر لا تضبطه اللغة ضبطا ، ففى لسان العرب (٢١٧) أن السكر فى اللغة له معان كثيرة منها الخمر نفسها ومنها النبيذ والنضب والامتلاء والطعام .

• (٢١٢) الحشر/٧
• (٢١٤) الاطلاق ٢٦/١ ، الواحدى ٢٣٦
• (٢١٦) المائدة/٩٠

• (٢١١) القرطبي ٢٢/٦
• (٢١٣) الانفال/٤١
• (٢١٥) النحل/٦٧
• (٢١٧) مكة - مكة

ثانيا : هناك فرق بين الخمر والنبيذ ، نلاحظه فى حديثه (ص) :
فاشربوا فى كل وعاء غير ألا تشربوا مسكرا ،(٢١٨) .

ثالثا : يمكن أن يفهم من آية النحل معنى الاخبار لا معنى الحكم ،
أى أن الله سبحانه وتعالى خلق لنا هذه الثمار فى الأصل طيبة ، كما
صنعنا نحن منها الحرام ، والأخبار لا تنسخ

رابعاً : وقد يكون الخبر اذن هنا على معنى التبريخ والتأنيب .

خامساً : حينما نزلت هذه الآية كانت الخمر حلالا ثم حرمت بعد
ذلك أى أن معنى النسخ هنا هو أن الخمر نسخت بإباحتها ، لا أن الآية
هى التى نسخت(٢١٩) .

سادساً : وكما قال الطبرى : انه ليس فى التنزيل دليل على أنه
منسوخ ولم يرد بنسخه خبر من الرسول ولا أجمعت عليه الأمة(٢٢٠) .

سابعاً : وفى نفس الوقت لا يجوز اجتماعه وناسخه .

وهكذا . . .

عرضنا لأهم دعاوى النسخ فى تفسير قتادة ، لايماننا بأهمية هذه
القضية فى التفسير ، وقد رأينا أن أكثر دعاوى النسخ عند قتادة دعاوى
مردودة ، وليس قتادة فى ذلك مختلفا عن المفسرين القدماء ، فالحق أنهم
غالوا مغالاة شديدة فى رفع دعاوى النسخ ، وخاصة فيما يتعلق بالسيف ،
فكم نسخوا بآية السيف ، ولقد كانت المغالاة فى هذا الصدد أمرا مسيئا
فى كثير من الأحيان لمعانى القرآن والاسلام وهناك قصة لابن سلامة ،
وقد جلس يقرأ عليه كتابه فى النسخ والمنسوخ (٢٢١) ، وابنته تسمع ،
فسمعت فيه أن قوله تعالى « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما
وأسيرا »(٢٢٢) ، وأن المراد بذلك غير أهل القبلة من أسرى المشركين ،

(٢١٨) صحيح مسلم - كتاب الاشربة ٤/٦٨٢ - طبعة الشعب .

(٢١٩) واضع البرهان ص ١٥ .

(٢٢٠) الطبرى١٢/٩٣ .

(٢٢١) مطبوع على هامش أسباب النزول للواحدى .

(٢٢٢) الانسان/٨ .

ونسخ اطعام أسرى المشركين بأية السيف ، وفزعت الابنة من هذا القول الذى يخدش حياء الأدب الاسلامى والمروءة الاسلامية ، فقالت : أخطأت يا أبت : فقال لها : وكيف ؟ قالت : أجمع المسلمون على أن الأسير يطعم ولا يقتل جوعا . قال : صدقت (٢٢٢) . هذا هو ديننا واسلامنا الحنيف .

٨ - التفسير التاريخى :

(١) اسباب النزول :

يهتم قتادة فى تفسيره بأسباب نزول الآيات اهتماما كبيرا ، ويستعين بها على التفسير والتوضيح ، فيقول ان هذه الآية نزلت فى كذا ، أو حدث كذا فنزلت آية كذا ، ويمكن لنا أن نقدر الآيات التى فسرها قتادة على أساس أسباب النزول بأنها تلتهم نصف تفسيره .

ومن الأمثلة على ذلك عندما يتعرض لتفسير قوله تعالى : « أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا » (٢٢٤) ، يقول : « هى أول آية أنزلت فى القتال فأذن لهم أن يقاتلوا » ، وفى تفسير قوله تعالى : « ما كان محمد أباً أحد من رجالكم » (٢٢٥) ، يقول : « نزلت فى زيد ، انه لم يكن بابنه » ، وفى تفسير قوله تعالى : « ووصينا الانسان بوالديه حسنا » (٢٢٦) ، يقول : نزلت فى سعد بن أبى وقاص لما هاجر ، قالت أمه والله لا يظلمنى بيت حتى يرجع فأنزل الله فى ذلك أن يحسن اليهما ولا يطيعهما فى الشرك » ، وفى تفسير قوله تعالى : « انك لا تهدى من أحببت » (٢٢٧) ، يقول : « نكر لنا أنها نزلت فى أبى طالب ، التمس [الرسول (ص)] منه عند موته أن يقول لا اله الا الله لكيما تحل له بها الشفاعة ، فآبى عليه » ، وفى تفسير قوله تعالى : « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى » (٢٢٨) ، يقول : « نكر لنا أن هذه الآية نزلت على رسول الله (ص) يوم عرفة يوم جمعة ، حين نفى الله المشركين عن المسجد الحرام وأخلص للمسلمين حجهم » . وهكذا .

والملاحظ على قتادة فى هذا الصدد أنه يأتى بقول واحد فى سبب النزول ، ولا نجد له تعقبا فى ذلك أو رأيا ، فلا يقول هذه الرواية صحيحة

- (٢٢٤) الحج/٢٩
- (٢٢٦) العنكبوت/٨
- (٢٢٨) المائدة/٢

- (٢٢٢) الاتقان/٢٢٤
- (٢٢٥) الاجزاب/٤٠
- (٢٢٧) القيسن/٥٦

أو هذه الرواية خطأ ، ولا يذكر أقوال غيره من المفسرين فى هذا الصدد وإنما هو يكتفى برواية واحدة له ، ويكتفى أيضا بمجرد ذكرها فحسب .

اللهم الا شيئا واحدا فقط اهتم به قتادة ، وهو التنبيه على مكية السورة أو الآيات ومدنيتها ، فمثلا فى أول سورة يونس يقول « نزلت بمكة الا ثلاث آيات وهى قوله سبحانه وتعالى : « فان كنت فى شك مما أنزلنا اليك » الى آخر الثلاث آيات : ، ويقول فى أول الأعراف : « مكية الا آية » : « وأسألهم عن القرية » ، ويقول فى أول الحج : « مدينة الا أربع آيات : « وما أرسلنا من قبلك من رسول : « عقيم » ويقول فى أول التحريم : « المدنى منها الى رأس الحشر والباقي مكى ، ٠٠٠ وهكذا .

فقتادة لم يهتم من الناحية الدراسية بموضوع النزول الا بالتنبيه على كون هذه السورة مدنية أو مكية أو مدنية وفيها مكى ٠٠٠ وما الى ذلك ، وهو أمر يشكر له ، وهناك أثر لطيف أتى به صاحب الاتقان عن قتادة ، يجمع فيه قول قتادة فى مسألة المكى والمدنى ، وهو : « قال أبو بكر الانبارى ، حدثنا اسماعيل بن اسحاق القاضى، حدثنا حجاج بن منهال، حدثنا همام عن قتادة قال : نزل بالمدينة من القرآن : البقرة ، آل عمران، والنساء، والمائدة ، والأنفال ، وبراءة ، والرعد ، والنحل ، والحج، والزور، والأحزاب، ومحمد ، والفتح ، والحجرات ، والرحمن ، والحديد ، والمجادلة ، والحشر، والمتحفة ، والصف ، والجمعة ، والمنافقون ، والتغابن ، والطلاق ، ويأ أيها النبى لم تحرم الى رأس العشر ، واذا زلزلت ، واذا جاء نصر الله . هؤلاء السور نزلن بالمدينة وسائر القرآن مكى » (٢٢٩) .

وهذا الذى ذهب اليه قتادة هو رأى الجمهور باستثناء انه اعتبر « الرعد » و « التحريم » الى رأس العشر مدينتين ، وهما عند الجمهور مكيتان ، وكذلك اعتبره « الانسان » و « البينة » مكيتين ، وهما عند الجمهور مدينتان .

(ب) احداث من سيره :

كان قتادة عارفا بالتاريخ أيضا ، ونجده فى تفسيره دائم الاستعانة بأحداث السيرة النبوية من أجل التفسير ودائم الاستشهاد بها فى المواضع

(٢٢٩) الاتقان ١١/١ ، ونفس الأثر بنفس السند فى تفسير القرطبي ١/٦ - ٦٢ وقد سقط من أثر الاتقان سورة « الأنفال » ، وذلك لان قتادة كان يعد الأنفال والتوبة سورة واحدة .

التي نتظيها ، فيؤسر الآية بما صاحبها من أحداث فى السيرة النبوية ، وعلى سبيل المثال نجده يتحدث عن اليهود وموقفهم من بعثة محمد (ص) عندها يتعرض لتفسير قوله تعالى : « ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين » (٢٢٠) ، فيقول قتادة : « كانت اليهود تستفتح بمحمد (ص) على كفار العرب من قبل وقالوا اللهم ابعث هذا النبى الذى نجده فى التوراة يعذبهم ويقتلهم ، فلما بعث الله محمدا (ص)، فرأوا أنه بعث من غيرهم ، كفروا به حسدا للعرب ، وهم يعلمون أنه رسول الله (ص) ويجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة » .

ويحكى عن رسول الله (ص) وعن الأصنام التى كان كفار قريش يعبدونها فيقول : « بينما رسول الله (ص) يصلى عند المقام اذ نعى فلقى الشيطان على لسانه كلمة فتكلم بها وتعلق بها المشركون عليه ، فقال : « أفرايتم اللات والعزى وَ مناة الثالثة الأخرى » (٢٢١) ، فلقى الشيطان على لسانه ونعى : « وان شفاعتها لترتجى وانها لمع الغرائيق العلى ، فحفظها المشركون وأخبرهم الشيطان أن نبى الله (ص) قد قرأها ، فدلّت بها ألسنتهم فأنزل الله : « وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبى الا اذا تمنى ألقى الشيطان فى أمنيته فينسخ الله ما يلقي الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم » (٢٢٢) . فدحر الله الشيطان ولقن نبيه حجته » .

ويتحدث قتادة عن المنافقين وأنهم كانوا « يتناجون بينهم وكان ذلك يغيظ المؤمنين ويكبر عليهم ، فأنزل الله فى ذلك القرآن : « انما النجوى من الشيطان ليحزن الذين آمنوا وليس بضارهم شيئا الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المؤمنون » (٢٢٣) .

ويحكى قتادة فى تفسيره أيضا كثيرا مما كان يدور بين رسول الله (ص) وبين صحابته رضوان الله عليهم ، فنجده مثلا يسوق هذه القصة ليفسريها قوله تعالى : « الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون » (٢٢٤) ، فيقول : قتل حارثة بن سراقة يوم بدر ، فقالت أمه : يا رسول الله ان كان ابنى من أهل الجنة لم أبك عليه ، وان كان من أهل النار بالغت فى البكاء ،

■ (٢٢١) للنجم/١٩ ، ٢٠

• (٢٢٢) المجادلة/١٠

• (٢٢٠) البقرة/٨٩

• (٢٢٢) الحج/٥٢

• (٢٢٤) المؤمنون/١١

فقال (ص) « يا أم حارثة انها جنتان فى عدن وان ابنك قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة » •

وعندما يفسر قوله تعالى : « وأنذر عشيرتك الأقربين » (٢٢٥) ، يقص علينا ما حدث من الرسول حينئذ مع قومه فيقول : « لما نزلت » وأنذر عشيرتك الأقربين « جمع النبى (ص) بنى هاشم ، فقال يابنى هاشم ، ألا لا ألفينكم تأتونى تحملون الدنيا ويأتى الناس يحملون الآخرة، الا أن اوليائى منكم المتقون ، فاتقوا النار ولو بشق تمره » •

وهكذا ، يسرد قتادة فى تفسيره أحداثا كثيرة من السيرة النبوية ، ويتخذها عرنا له فى التفسير والتوضيح ، فنراه يتحدث عن البراق ، وعن محاورات اليهود والنصارى والكفار لرسول الله (ص) ، وعن المنافقين الذين اتخذوا مسجدا ضاررا ، والذين قالوا ان بيوتنا عورة ، ويتحدث عن غزوات الرسول وعن هجرة المسلمين الى الحبشة وما الى ذلك كثير •

ونلاحظ أيضا طريقته فى سرد هذه الاحداث ، فهو مجرد سرد ، ليس تعقيبا ولا تعليقا ، ولا أى شىء من دراسة •

ج - عادات العرب واحوالهم :

وأیضا فقد استعان قتادة فى تفسيره بثقافته الواسعة فى عادات العرب واحوالهم ، وفسر عددا كبيرا من الآيات عن طريق ذكر عادات العرب واحوالهم قبل الاسلام وتوضيح علاقتها بالآيات القرآنية ، ولقد كان قتادة رأسا فى أيام العرب وعاداتها واحوالها وغزواتها ، وكان الأمويون ما ينفكون يرسلون له بريدا يسأله عن شىء فى التاريخ العربى القديم فيجيبه •

وعلى سبيل المثال ، فهو عندما يتعرض لتفسير قوله تعالى : « وأنه كان رجال من الانس يعوذون رجالا من الجن فزادوهم رهقا » (٢٢٦) ، يقول : « نذكر لنا أن هذا الحى من العرب كانوا اذا نزلوا بواد قالوا نعوذ بعن أهل هذا المكان ، فهو يحكى ما كان من العرب ، وأن هذه الآية بصددها الذى كان منهم ، ثم يحكى رد القرآن على ذلك فيقول : « قال الله : « فزادوهم رهقا » أى اثما ، وازدادت الجن عليهم بذلك جراءة » •

وعندما يفسر قوله تعالى : « فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نكرهم وأوجس منهم خيفة » (٢٢٧) ، يقول : « كانت العرب اذا نزل بهم ضيف فلم يطعم من طعامهم ، ظنوا أنه لم يجيء بخير وأنه يحدث نفسه بشر »
فهو ايضا يذكر عادة العرب وما كان منها ، ويقرن ذلك بالآية •

وعندما يتعرض لتفسير الميسر في قوله تعالى : « انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان » (٢٢٨) ، يقول : « كان الرجل في الجاهلية يقامر عن أهله وماله ، فيقعد حريبا سلبيا ينظر الى ماله في يدى غيره ، فكانت تورث بينهم عداوة وبغضاء ، فهى الله عن ذلك وقدم فيه ، والله أعلم بالذى يصلح خلقه » •

ولعلنا لاحظنا أنه في هذا التفسير بدأ يعلق بعض التعليق ، فهو يقرر أن تحريم الميسر كان صلاحا للخلق ، « والله أعلم بالذى يصلح خلقه » •
ولقد كان قتادة في أحيان قليلة يعلق باختصار على ما يحكيه ومن ذلك تفسيره لقوله تعالى : « واذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم » (٢٢٩) ، فيقول : « وهذا صنيع مشركى العرب أخبرهم الله تعالى بخبث صنيعهم ، فأما [العبد] فهو حقيق أن يرضى بما قسم الله له وقضاء الله خير من قضاء المرء لنفسه ، ولعمري ما يدري أنه خير ؟ لرب جارية خير لأهلها من غلام : وانما أخبركم الله بصنيعهم لتجتنبوه وتنتهوا عنه ، وكان أحدهم بغضو كلبه ويئد ابنته » • فهو فى هذا التفسير ، يعلق على ما كان عليه بعض العرب من شر وطغيان ، وينصح ويدعو الى الايمان والصلاح •

وعندما يفسر قوله تعالى : « فيه آيات بينات مقام ابراهيم ومن دخله كان آمنا » (٢٤٠) ، يقول : « وهذا كان فى الجاهلية ، كان الرجل لو جر كل جريرة على نفسه ثم لجأ الى حرم الله لم يتناول ولم يطلب ، فأما فى الاسلام فإنه لا يمنع من حدود الله ، من سرق فيه قطع ، ومن زنى فيه أقيم عليه الحد ، ومن قتل فيه قتل » • فهو هنا أيضا لم يذكر التفسير ويكتفى به فحسب كما يفعل دائما ، وانما تعدى ذلك الى الحديث عما صار عليه الأمر بعد ظهور الاسلام ، ويبدو أن الذى دفعه الى ذلك هنا أن هذا الموضوع قد يكون مرتبطا بالسياسة أو بالفقه ، فقد استبيح الحرم فى

• (٢٢٨) المائدة/٩٠ •

• (٢٤٠) آل عمران/٩٧ •

• (٢٢٧) هود/٧٠ •

• (٢٢٩) النحل/٥٨ •

ذلك العصر على ما رأينا فى « الحرة » وفى ضرب الكعبة بالمنجنيق ٠٠٠
تعتبر خُلمة قتادة فى ذلك فتوى يصدرها ينبه بها الناس ويلفت نظرهم الى
النعنى الصحيح للآية والوجه المستقيم لها .

ألا اننا لا نبالغ ونقول انه كان يفعل ذلك كثيرا من التعقيب والتعليق
على ما يسرده من أحداث اجتماعية . فما علق عليه قليل جدا ، ولا يخرج
عن دائرة ضيقة محدودة من التفسير بالأحداث الاجتماعية أو التاريخية ،
حتى ولو كان الأمر محتاجا لتوضيح لغوى أو فقهى ، فمثلا عندما فسر
« المنخقة » قال « التى تموت فى خناقها » وهذا تفسير لغوى ، ثم يقول :
« كان أهل الجاهلية يخنقون الشاة حتى اذا ماتت أكلوها » ، وهذا تفسير
بالأحداث الاجتماعية، ثم لا نجده بعد ذلك يخرج بشيء فقهى ونفسى الحال فى
تفسيره للموقوذة ، يقول : « التى توقذ فتموت » ثم يقول : « كان أهل
الجاهلية يضربونها بالعصا حتى اذا ماتت أكلوها » ، ثم يسكت على ذلك
ولا يضيف شيئا ، فهو يدور فى نفس دائرة الضيقة المحدودة ، وعندما
يفسر قوله : « وما ذبح على النصب » (٢٤١) ، يقول : « يعنى أنصاب الجاهلية »
ولا يتعدى ذلك ويقول بتحريم ما ذبح على النصب فى كل زمان ومكان
حسب شريعة الاسلام ، وانما يكتفى بأنها « أنصاب الجاهلية » وأن « النصب
حجارة كان أهل الجاهلية يعبدونها ويذبحون عندها » ولا يكاد يعقب على
ذلك كله الا بعبارة وحيدة هى « فنهى الله عن ذلك » .

(د) تاريخ قديم وديانات ونحل قديمة :

ونلاحظ شيئا من ثقافته فى التاريخ القديم يستعين بها فى تفسيره ،
كأن يتحدث عن سبأ وسيل العرم ، وأنهم « قوم أعطاهم الله نعمة وأمرهم
بطاعته ونهاهم عن معصيته ، قال الله : « فأعرضوا » : ترك القول لأمر الله ،
« فأرسلنا عليهم سيل العرم » (٢٤٢) ، وأن « وادى سبأ كانت تجتمع اليه
مسائل من أودية شتى ، فعمدوا فسدوا ما بين الجبلين بالعيز والحجارة ،
وجعلوا عليه أبوابا ، وكانوا يأخذون من مائه ما احتاجوا اليه ، ويسدون
عنهم ما لم يعبتوا به أمن مائه ، فلما تركوا أمر الله بعث الله عليهم جرذا ،
فنقبه من أسفله ، فاتسع ، حتى غرق الله به حروثهم وخرّب به أراضيهم ،

عقوبة بأعمالهم ، قال الله : « وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل » (٢٤٤) .

وحينما يتعرض لقوله تعالى : « أم قوم تبع » (٢٤٥) : « ذكر لنا أن تبعا كان رجلا من حمير سار بالجيش حتى حير الحيرة ، ثم أتى سمرقند فهدهما ، وذكر لنا أنه كان اذا كتب ، كتب باسم الذى تسمى وملك برا وبحرا » .

وهكذا يتحدث قتادة فى تفسيره عن معلومات فى التاريخ القديم، ويستعين بها فى التفسير ، ويروى عن أحداث أيوب وسليمان وداود ويونس وما صنعوه مع أقوامهم ، وهو فى ذلك لا يجعل من نفسه ناقدا أو دارسا ، وانما يكتفى بمجرد السرد والحكاية ، دونما تعليق أو تعقيب اللهم الا قليلا او ناصرا .

وكما استعان قتادة فى تفسيره بالتاريخ القديم . كذلك تبدو الثقافة الدينية التى تدور حول الديانات والملل والعقائد القديمة ، واضحة فى تفسيره ، فنجدته يتحدث عن الصابئة وعن المجوس وعن الوثنيين ، كما يتحدث عن حنفاء العرب ، ويذكر بعض الأشياء من التوراة والانجيل .

ففى تفسير قوله تعالى : « ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا » (٢٤٦) ، يقول : « الصابئون : قوم يعبدون الملائكة ويصلون الى القبلة ويقرءون الزبور ، والمجوس : عبدة الشمس والقمر والنيران ، وأما الذين أشركوا فهم عبدة الأوثان » .

ويتحدث عن أصنام الحرب فى الجاهلية . فيقول فى تفسير قوله تعالى : « أرايتم اللات والعزى . ومناة الثالثة الأخرى » (٢٤٧) : « أما اللات فكانت بالطائف ، وأما العزى فكانت ببطن مكة ، وأما مناة فكانت بقديد ، .هية كانوا يعبدونها » وفى تفسير قوله تعالى : « والرجز فاهجر » (٢٤٨) ، يقول : « هما صنمان كانا عند البيت » اساف « و « نائلة » ، يمسح وجوهما من أتى عليهما » ، وفى تفسير قوله تعالى : « وقالموا لا تدرن

• (٢٤٥) الدخان ٣٠ .

• (٢٤٧) النجم/١٩ - ٢٠ .

• (٢٤٤) سبأ /١٦ .

• (٢٤٦) الحج/١٧ .

• (٢٤٨) المشر/٥ .

ألهتكم ولا تذرني ودا ولا سواعا ولا يغوث ويعوق ونسرا» (٣٤٩) ، فيقول :
« كان » ود « لهذا الحى من كلب بدومة الجندول ، وكانت « سواع » لهذيل
برباط ، وكان « يغوث » لبني غطفان من مراد بالجرف من سثاف ، وكان
« يعوق » لهمدان ببلخ ، وكان « نسر » لدى كلاع من حمير » .

وها هو يتحدث عن الحنفاء من العرب في تفسير قوله تعالى :
« الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به مؤمنون » (٣٥٠) ، فيقول : « أناس
من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق يأخذون بها، وينتهون إليها
حيث بعث الله محمدا (ص) فأمنوا به وصدقوا به فأعطاهم الله أجرهم
مرتبتين : بصبرهم على الكتاب الأول ، وإتباعهم محمدا (ص) وصبرهم
على ذلك » ، وذكر أن منهم سلمان وعبد الله بن سلام » .

وفى تفسيره لقوله تعالى : ولو كانت فظا غليظ القلب لأنفضوا من
حولك » (٣٥١) ، يقول : ذكر لنا أن نعت محمد (ص) فى التوراة : « وليس
بفظ ولا غليظ ولا صخوب فى الأسواق ولا يجزى السيئة مثلها ولكن يعفو
ويصفح » .

وفى تفسيره لقوله تعالى على لسان عيسى عليه السلام : « ولم يجعلنى
جبارا شقيا » (٣٥٢) ، يقول : « ذكر لنا بن عيسى [عليه السلام] كان يقول :
سلونى فان قلبى لين وانى صغير فى نفسى » .

ويتحدث عن النصرانية ومذاهبها حين يتعرض لتفسير قوله تعالى :
« ذلك عيسى ابن مريم قول الحق الذى فيه يمترون » (٣٥٣) ، « فيقول : « ذكر لنا
أنه لما رفع ابن مريم انتخبت بنو اسرائيل أربعة من فقهاءهم فقالوا للأول :
ما تقول فى عيسى ؟ قال : هو الله ، هبط الى الأرض ، فخلق ما خلق وأحيا ما
أحيا ، ثم صعد الى السماء » .

فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت « اليعقوبية » من النصرارى .
وقال الثلاثة الآخرون : نشهد أنك لكاذب .
فقالوا للثانى : ما تقول فى عيسى ؟ فقال : هو ابن الله .

• (٣٥٠) القصص/٥٢

• (٣٥٢) مريم/٣٢

• (٣٤٩) نوح/٢٣

• (٣٥١) آل عمران/١٥٩

• (٣٥٣) مريم/٣٤

فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت « النسطورية » من النصارى .
وقال الاثنان الاخران : نشهد أنك لكاذب .

فقالوا للثالث : ما تقول فى عيسى؟ قال: هو اله ، وامه اله ، والله اله .
فتابعه على ذلك ناس من الناس فكانت « الاسرائيلية » (٢٥٤) من النصارى .

فقال الرابع : تشهد أنك لكاذب . ولكنه عبد الله ورسوله ، وهو كلمة
الله وروحه ، فاختمتم القزل ٠٠٠ فاقتتل القوم » .

وهكذا يستعين قتادة بثقافته الواسعة بالأديان القديمة ويأتى بها فى
تفسيره ، ورغم أنه لا يعلق من قريب أو بعيد على ما يأتى به ، الا أننا
نلاحظ نظرتة الناقبة العميقة للأمور الدينية . ومبادئ التوحيد والأصول .
فهو يقرر جوهر الأديان الأصلية عندما يتعرض لتفسير قوله تعالى : إنه
لا اله الا أنا فاعبدون « (٢٥٥) ، يقول : « به أرسلت أرسلا بالاخلاص
والتوحيد لا يقبل منهم حتى يقولوا ويقرؤا به » ، فهو اذن يقرر أن العقيدة
الاساسية لكل ما جاء به الرسل هى التوحيد وهى الاخلاص ، المعنى الذى
نادى به القرآن الكريم فى أكثر من آية .

وهو يعترف بحقيقة اختلاف الشرائع ، ولكنه يؤكد أن الجوهر واحد
وأن الأساس العقيدى واحد لا يتغير ، فيقول فى تفسير قوله تعالى :
« لكن جعلنا منكم شريعة ومنهاجا » (٢٥٦) : « السنن مختلفة : للتوراة شريعة
وللانجيل شريعة وللقرآن شريعة ، يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ،
بلاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه ، والدين الواحد الذى لا يقبل غيره :
التوحيد والاخلاص لله الذى جاءت به الرسل » . ويكرر هذا المعنى فى
تفسير قوله تعالى : « ان هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » (٢٥٧) ،
فيقول : « أى دينكم دين واحد وربكم واحد والشريعة مختلفة » ، ويكرره
كذلك فى تفسير قوله تعالى : « وما أرسلنا من قبلك من رسول الا نوحي
اليه انه لا اله الا أنا فاعبدون » (٢٥٨) ، فيقول : « والشرائع تختلف ، فى
التوراة شريعة ، وفى الانجيل شريعة ، وفى القرآن شريعة ، حلال وجرام ،
فهذا كله فى الاخلاص لله وتوحيد الله » .

(٢٥٤) أو « الملكانية » : انظر الملل والنحل ١/ ٢٢٢ .

(٢٥٦) اللطائف ٤٨/

(٢٥٥) الانبياء/ ٢٥ .

(٢٥٨) الانبياء/ ٢٥ .

(٢٥٧) الانبياء/ ٩٢ .

وهكذا يرفع شعار الاخلاص لله وتوحيد الله ، وينادى بهذا المبدأ ،
ويقرره جوهرًا أصيلاً وعميقاً لأديان الله عزوجل .

هـ - اسرئيليات :

ولقد سقطت قى تفسير قتادة بعض الاسرائيليات كما سقطت فى غيره
من التفسير الأخرى .

فمثلاً يقول عن بلقيس : بلغنى أنها امرأة يقال لها « بلقيس » - يقول
راويته : أحسبه قال ابنة شراحيل - أحد أبويها من الجن ، مؤخر قدميها
كحافر الدابة « ويقول » : « كانت صاحبة سباً إذا رقدت غلقت الأبواب
وأخذت المفاتيح فوضعتها تحت رأسها ، فلما غلقت الأبواب وأوت الى
فراشها ، جاءها الهدهد حتى دخل من كوة بيتها ، ففقد الصحيفة على
بطنها بين فخذيها ، » ويتحدث عن هديتها لسليمان فيقول : فبعث اليهم
بلبنة من ذهب فى حريير وديباج فبلغ ذلك سليمان فأمر بلبنة من ذهب
فصنعت ثم قذفت تحت أرجل الدواب على طريقهم تبول عليها وتروث ، فلما
جاء رسلها واللبنة تحت أرجل الدواب ، صغر فى أعينهم الذى جاءوا به ،
ويتحدث عن عرشها فيقول : « كان من ذهب وقوائمه من جوهر مكلل
باللؤلؤ » .

وكل هذا اسرئيليات ، فالاسلوب الاسرائيلى واضح جدا وروح
الرواية الاسرائيلية لا تخفى هنا على أى مشتغل بهذه الدراسات ، ففيها
السطح والاغراب والمغالاة ، وتهويل الحقير وتحقير العظيم ، والتعاليى
بالانبياء اليهود ، وعبادة الذهب والاطناب فى ترديد أسماء الجواهر ،
والمفارقات العجيبة والخضوع للتهويمات والأساطير وما الى ذلك .

والتفاصيل التى لا سهيل الى التثبت منها هى سمة أصيلة للاسرائيليات،
ومن ذلك النوع ما يرويه قتادة فى تفسير قصة قابيل وهابيل ، فيقول :
« ذكر لنا أن هابيل كان صاحب ماشية ، فعمد الى خير ماشية فتقرب بها ،
فنزلت عليه النار فأكلته ، وكان القربان اذا تقبل منهم نزلت عليه نار
فأكلته واذا رد عليهم أكلته الطير والسباع ، وأما قابيل كان صاحب زرع
فعمد الى أردأ زرعه فتقرب به فلم تنزل عليه النار فحسد أخاه عند ذلك » .
فكيف السهيل الى التوثق من أن هابيل كان راعياً وأن قابيل كان زارعاً
وأن الاله كان النار وأن سبب التحاسد قبول القرابين . . .

ومن تلك التفاصيل الغربية والمسببات العجيبة أيضا ، ما يرويه قتادة

فى تفسير قوله تعالى : « فتبعوهم مشرقين(٢٥٩) » ، يقول : « خرج اصحاب موسى ليلا ، فكسف القمر ليلا واطلمت الأرض ، فقال اصحابه : ان يوسف كان اخبرنا انا سننجى من فرعون واخذ علينا العهد لنخرجن بعظامه معنا ، فخرج موسى من ليلته يسال عن قبره فوجد عجوزا سالها على قبره فخرجته له بحكها ، فكان حكمها ان قالت له احملنى فاخرجنى معك ، فجعل عظام يوسف فى كساء ثم حمل العجوز على كساء فجعله على رقبته ، وخيل فرعون فى اعنتها » .

وكذلك يفسر قوله تعالى : « ان خير من استاجرت القوى الامين (٤٦٠) . برواية اسرائيلية تقول : « ذكرلنا ان الذى رأت من قوته انه لم تلبث ماشيتها حتى رواها ، وان الامانة التى رأت منه انها حين جاءت تدعوه قال لها كونى ورائى ، وكره ان يستديرها ، فذلك ما رأت من قوته وأمانته » . وعندما يفسر قوله تعالى : « قلنا يانار كونى بردا وسلاما على ابراهيم » (٢٦١) ، يقول : « لم تأت يومئذ دابة الا اطفأت عنه النار الا الوزغ » فهو بهذه الرواية الاسرائيلية يود لو يقول مباشرة ان اكرام الله لابراهيم عليه السلام جعله يسخر له كل الدواب لاطفاء نار الكفار . ولم تشد عن هذه القاعدة الا الوزغ ، وهو أسلوب اسرائيلى فى الاستثناءات الغريبة .

والاسرائيليات تولع بالدقائق الخبيثة العجيبة ، ومن هذا النوع ما يأتى به قتادة فى تفسير قوله تعالى : « فى البقرة المباركة من الشجرة » (٢٦٢) ، فيقول : « الشجرة « عوسج » ، عصا موسى من العوسج ، والشجرة من العوسج » ، وكذلك ما يأتى به فى تفسير قوله تعالى : « الا ما حرم اسرائيل نفسه » (٢٦٢) ، فيقول : « اشتكى اسرائيل عرق النساء فقال ان الله شفانى لاجرم العروق فحرمها » .

ومن الاسرائيليات أيضا تحديد أسماء الأماكن وأسماء الأعلام ، وهى أماكن لم تسم فى القرآن الكريم لحكم وأمور ، وهذه التسميات التى أتى بها قتادة فى تفسيره سمة مميزة من سمات الاسرائيليات التى ما تنى عن التقصى والتلصص حتى لو كان هذا التقصى خرافيا والتحديد خياليا .

• (٢٥٩) الشعراء/٦٠

• (٢٦١) الانبياء/٦٩

• (٢٦٢) آل عمران/٩٢

• (٢٦٠) القصص/٢٦

• (٢٦٢) القصص/٢٠

ومن هذه التحديدات المكائبة التي وردت فى تفسير قتادة أن ابراهيم عليه السلام هاجر من « كوشى » بالعراق ، وأن الربيرة التى هى ذات قرار ومعين هى بيت المقدس ، وأن « الرس » قرية من قرى اليمامة ، وأن واد النمل واد بأرض الشام ، وأن البحر الذى غرق فيه فرعون ومن معه هو بحر « اساف » ، وأن قرية المسلمين ذى سورة يس هى « انطاكية » ، وأن حوت يونس حرى فى بحر الروم ثم النيل ثم فارس ثم فى دجلة ، وأن مجمع البحرين بحر فارس والروم ، وأن الجب الذى ألقى فيه يوسف صغيرا هو بئر فى بيت المقدس ، وأن سفينة نوح رست « بنا فردى » ، وأن القرية التى كانت حاضرة البحر هى « أيلة » ، وأن هودا بحث من أرض « الشحر » ، ولوطا من « سدوم » ، وأرسل يونس الى أهل « نيزرى » ، وأن مهبط آدم بأرض الهند ٠٠٠ وهكذا نجد كثيرا من التسميات المكائبة المحددة والتي قالت بها الاسرائيليات والتي قد يكون منها الصحيح ومنها الخطأ ، والمحك على التاريخ والتمحيص والعلم .

ومن تحديد أسماء الأعلام أن فتى موسى هو « يوشع بن نون » ، وأن الذى عنده علم من الكتاب هو « بليخا » ، وأن اسم حوت يونس « نجم » ، وأن فازون هو « المنور » ، وأن « روبييل » هو الذى منع أخوه يوسف من قتله وهو صغير ، وأن « بنيامين » هو أخو يوسف شقيقه ٠٠ وغير ذلك .

ومن سمات الاسرائيليات أيضا والتي نجدها فى تفسير قتادة :
تحديد العدد ، فالاسرائيليات مغرمة بتحديد أعداد كل شىء من ناس وسنين وأيام وأعمار ومسافات وأطوال ٠٠ وما الى ذلك ، ومن هذه التحديدات العددية التى جاءت فى تفسير قتادة : أن من خرجوا مع قارون فى زينته كانوا على أربعة آلاف دابة ، وأن عدد أهل مشورة بلقيس كانوا ثلاثمائة واثنى عشر كل رجل منهم على عشرة آلاف ، وأن عدد بنى اسرائيل الذين قطع بهم موسى البحر كانوا ستمائة ألف مقاتل وعشرين ألفا فصاعدا ، وتبعهم فرعون على ألف ألف حصان ومائتى ألف حصان ، وأن آدم كان رأسه فى السماء ورجلاه فى الأرض وكانت الملائكة تهابه فنقص الى ستين ذراعا ، وأن ما بين الصخرة ببيت المقدس وبين السماء ثمانية عشر ميلا ، وأنه كان بين آدم ونوح ألف سنة ، وبين نوح وابراهيم ألف سنة ، وبين ابراهيم وموسى ألف سنة ، وبين موسى وعيسى أربعمائة سنة ، وبين عيسى ومحمد ستمائة سنة ، وأنه شيع جنازة هرون أربعون ألفا من بنى اسرائيل كل منهم يسمى هرون ، وأن طول سفينة نوح ثلاثمائة ذراع وعرضها خمسون ذراعا وطولها فى السماء ثلاثون ذراعا ، وبابها فى عرضها ، وأنها استقلت بهم فى عشر خلون من رجب وكانت فى الماء خمسين ومائة

يوم ، وانهم اهبطوا الى الأرض فى عشر ليال خلون من المحرم ، فقال نوح لمن معه : من كان منكم صائما فليتم صومه ، ومن كان مفطرا فليصم !!٠٠

واذن فلا يمكن أن ننف عن قتادة أنه كان يورد الاسرائيليات فى تفسيره ، فهى واضحة وكثيرة ، ولكنها تتركز بالذات عند الآيات التى تعرض لأهل الكتاب وتذاكر أخبارهم وتتحدث عن أنبيائهم ، وكذلك الآيات التى تحكى قصص الانبياء الآخرين مثل نوح ولوط وهود ، وأيضا بعض الموضوعات التى كانت تحلو حكاياتها عند أهل ذلك العصر مثل قصة الخليقة الأولى وادم وحواء والشيطان والحية ، وقصة هابيل وقابيل ، وقصة هاروت وماروت ويأجوج ومأجوج وذى القرنين وسيدنا الخضر وأصحاب الكهف وحوت يونس ٠٠٠ وما الى ذلك .

واذا كان قتادة يسبق اسرائيليات تفسيره بقوله « نكر لنا » أو « كان يقال لنا » وما شابه ذلك من العبارات الاحترافية ، فهو بلا شك أيضا مسئول عما يورده .

٩ - التفسير الوعظى والأخلاقى :

وقتادة فى تفسيره يبدو لنا رجلا واعظا محسنا فى وعظه ، ما يبنى يدعو الى الأخلاق الحميدة والى المعاملة الكريمة والى التعاون والترابط والتراحم والتكافل ، ونجده فى كثير من جوانب تفسيره لا يكاد يترك مجالا للوعظ الا وعظ ، ولا يكاد يجد مناسبة للدعوة الا دعا ، فهو داعية للهداية ومصلح اجتماعى كبير .

فها هو يحذر الناس من الاغترار بالنعمة وركوب الغرور فسقا وضلالة وبعدا عن جنب الله ، حتى لا ييغتهم أمر الله ، فيقول فى تفسير قوله تعالى : « حتى تأتيهم الساعة بغتة » (٢٦٤) : بغت القرم أمر الله ، وما أخذ الله قوما قط الا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم ، فلا تغتروا بالله ، أنه لا يغتر بالله الا القوم الفاسقون ، .

ويحذر من حديث الباطل ويحبب فى حديث الحق ، ففى تفسيره لقوله تعالى : « ومن الناس من يشترى لهو الحديث » (٢٦٥) ، يقول : « بحسب

المرء من الضلالة أن يختار حديث الباطل على حديث الحق ، وما يضر هلى ما ينفع ، ، فـ « من تعدى الحلال أصابه الحرام ، كما يقول فى تفسير قوله تعالى « « فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون » (٢٦٦) . ولا بد أن يعرف الانسان أن الله لا يترك قط ذرة من عمل عامل، فيقول فى تفسير قوله تعالى : « ونكتب ما قدموا وآثارهم » (٢٦٧) : « لو كان [الله] مغفلا شيئاً من شأنك يا ابن آدم ، أغفل ما تعفى الريح من هذه الآثار ، ولكن أحصى على ابن آدم أثره وعمله كله ، حتى أحصى هذا الأثر فيما هو فى طاعة الله أو معصيته ، فمن استطاع منكم أن يكتب أثره فى طاعة الله فليفعل ، فإله لا يغفل من عمل ابن آدم شيئاً ، حتى ولو كان هذا الشيء أثر خطوة من خطواته على التراب ، فليبادر الناس الى أن يكون احصاؤهم فى الخير والثواب لا فى الشر والمعصية .

فما أقساه من يوم ، يوم القيامة ، يقول قتادة : « ليس شيء أبغض الى الانسان يوم القيامة ، من أن يرى من يعرفه ، مخافة أن يدور له عليه شيء ، وقرأ : « يوم يفر المرء من أخيه ، وأمه وأبيه وصاحبته وبنيه . لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه » (٢٦٨) .

ولا يحسبن أحد من الناس أنه يفر من حساب الله ، فى قوله تعالى : « يوم تشهد عليهم ألسنتهم » (٢٦٩) ، يقول قتادة : « ابن آدم ، والله ان عليك لشهودا غير متهمة فى بدنك ، فراقبهم ، واتق الله فى سررك وعلانيتك فإنه لا يخفى عليه خافية ، الظلمة عنده ضوء ، السر عنده علانية ، فمن استطاع ان يموت وهو بالله حسن الظن ، فليفعل ، ولا قوة الا بالله ، ، وحتى لا يدركه اليأس والعذاب عند الموت ، يقول قتادة مفسرا قوله تعالى « حتى اذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعنى » (٢٧٠) ، « والله ما تمنى أن يرجع الى أهل ولا الى عشرة ، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله ، فانظروا أمنية الكافر المفرط ، فاعملوا بها ولا قوة الا بالله ، واذن ، وكما يقول قتادة وهو يفسر قوله تعالى : « ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه فأعرض عنها » (٢٧١) : « اياكم والاعراض عن ذكر الله فان من أعرض عن ذكره فقد اغتر أكبر الغرة وأعوز أشد العوز وعظم من أعظم الذنوب » .

ولا بد أن يكون المؤمن متسامحا رحيمًا حتى مع من ظلمه ، يقول قتادة :

- | | |
|------------------|---------------------|
| • (٢٦٧) يس/١٢ | • (٢٦٦) المؤمنون/٧ |
| • (٢٦٩) النور/٢٤ | • (٢٦٨) عبس/٢٤ - ٢٧ |
| • (٢٧١) الكهف/٥٧ | • (٢٧٠) المؤمنون/٩٩ |

« نعمت والله الجرعة تتجرعها وأنت مظلوم ، فمن استطاع أن يغلب الشر بالخير فليفعل ولا قوة الا بالله » وذلك فى تفسيره لقوله تعالى : « ادفع بالتي هى أحسن السيئة(٢٧٢) » ، ويقول أيضا فى تفسير قوله تعالى : « ولئن انتصر بعد ظلمه »(٢٧٢) : « فَمَا ان ظلمك رجل فلا تظلمه وان فجربك فلا تفجر به وان خانك فلا تخنه ، فان المؤمن هو الموفى المؤدى ، وان الفاجر هو الخائن الغادر » فهو يدعو الى المسالمة والى التسامح والحلم والتصبر ، وينفر من الفجور والخيانة والغدر ، كما يدعو الى الصداقة الحقة والمؤاخاة ، يقول فى تفسير قوله تعالى : فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم(٢٧٤) : « يعلمون والله أن الصديق اذا كان صالحا نفع وأن الحميم اذا كان صالحا شفع » .

وها هو يبعد المؤمن عن اليهود والمسيحيين ، الذين قد يضلونه ويزبغونه عن دينه . فيقول فى تفسير قوله تعالى « ان تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب فلا تأمنوهم على دينكم ولا تنتصروهم على أنفسهم فانهم الأعداء الحسد الضلال ، كيف تأتمنون فوما كفروا بكتابتهم وقتلوا رسلهم وتحيروا فى دينهم وعجزوا عن أنفسهم ؟ أولئك هم أهل التهمة والعداوة » .

وهكذا يبنى فتادة فى تفسيره الوعظى والأخلاقي ، فيحذر من الشيطان ومن المعصية فيقول فى تفسير قوله تعالى : « ولا تتبعوا خطوات الشيطان »(٢٧٦) : « كل معصية فهى من خطوات الشيطان » ، ويدعو الى الخلال الكريمة والسجايا العظيمة ، فيقول عن العدل وهو يفسر قوله تعالى : « ألا تطغوا فى الميزان » (٢٧٧) : « اعدل يا ابن آدم كما تحب أن يعدل عليك ، وأوف كما تحب أن يوفى لك ، فان بالعدل صلاح الناس . ويتحدث عن العلم وهو يفسر قوله تعالى : « والذين أوتوا العلم درجات »(٢٧٨) : « أن بالعلم لأهله فضلا ، وان له على أهله حقا ، ولعمري للحق عليك أيها العالم فضل ، والله معط كل ذى فضل فضله » .

وليس فتادة فى مواضعه هذه بالجاف ولا بالممل ، فهو لا يسوق مواضعه إرشاداته فى قوالب جافة صامتة ، وانما يمزجها بالحياة

- | | |
|---------------------------|----------------------|
| • (٢٧٢) المؤمنون/٩٦ | • (٢٧٢) الشورى/٤١ |
| • (٢٧٤) الشعراء/١٠٠ - ١٠١ | • (٢٧٥) آل عمران/١٠٠ |
| • (٢٧٦) البقرة/١٦٨ | • (٢٧٧) الرحمن/٨ |
| • (٢٧٨) المجادلة/١١ | |

وبأحداث الحياة ، وبطريقة جميلة محببة لا تمل ولا تسئم ، فهو يتحدث عن الخشوع فى قوله تعالى : « الذين هم فى صلاتهم خاشعون(٢٧٩) » ، فيقول : « الخشوع فى القلب هو الخوف وغض البصر فى الصلاة » ، ثم لا يقصر حديثه الوعظى على المعانى الدينية وحدها فهو يخرج من الدائرة الدينية ويتقدم بمواعظه فى شئون الحياة كما تقدم بها فى الخشوع والخشوع الدينى ، فيتحدث عن التجارة فى تفسيره لقوله تعالى : « الا أن تكون تجارة عن تراض منكم »(٢٨٠) فيقول : « والتجارة رزق من الله وحلال من حلال الله لمن طلبها بصدقها وبرها . وقد كنا نحدث أن التاجر الأمين الصدوق مع السبعة فى ظل العرش يوم القيامة » ، وينهى عن القتل ، وكان القتل ظاهرة اجتماعية خطيرة سائدة فى عصره المضطرب ، فيقول فى تفسير قوله تعالى : « فكأنما قتل الناس جميعا »(٢٨١) : هذا تعظيم لتعاطى القتل ، عظم والله وزرها عظم والله أجرها ، ويتحدث عن العمل والقول فيقرن بينهما ويربط بين النظرية فى السلوك والتطبيق ، بين المبدأ والعمل به ، فيقول فى تفسيره لقوله تعالى : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه »(٢٨٢) : « لا يقبل الله قولاً الا بعمل من قال ، وأحسن العمل قبل الله منه » ، فمواعظه اذن مرتبطة بالحياة ، وليست مثل الأراجيز التى ارتجزها فيما بعد الزهاد من أمثال أبى العتاهية ، ولعلنا لاحظنا أنه دائماً ما يوجه الكلام فى مواعظه بصيغة الخطاب ، وقد تحدثنا عن هذه الظاهرة البلاغية عنده فيما سبق ، وآنها تقيم نوعاً من الصلة الحية النابضة بين من يعظ وبين من يوعظ ، وبين القلب والقلب والفكر والفكر والوجدان والوجدان ، كما لعلنا أيضاً لاحظنا كذلك أنه ينادى يا ابن آدم ، فهى اذن دعوة اجتماعية للإصلاح ، بشرية سامية وانسانية كلية .

وكذلك كان قتادة يدخل الطرافة فى مواعظه بادخال القصص وشرح الأمثال ، لتكون عوناً له فى درسه الوعظى وفى تفسيره الوعظى ، وفى تفسيره لقوله تعالى : « ولا تحزنى يوم يبعثون »(٢٨٢) ، يسوق لنا قصة رواها الرسول صلى الله عليه وسلم فى حديث شريف توضح هذا المعنى وتعظ الناس وتحثهم على العمل الصالح والبعد عن موارد الهلاك حتى لا يتعرضوا لمثل ما تعرض له

• (٢٨٠) النساء/ ٢٩

• (٢٨٢) فاطر/ ١٠

• (٢٧٩) المؤمنون/ ٢

• (٢٨١) المائدة/ ٣٢

• (٢٨٢) الشعراء/ ٨٧

هذا الضمبوع فى الحديث الشريف الذى يقول : « ذكر لنا أن نبي الله (ص) قال : « ليجيئن رجل يوم القيامة آخذا بيد أب له مشرك حتى يقطعه النار ويرجو أن يدخله الجنة ، فيناديه مناد أنه لا يدخل الجنة مشرك ، فيقول رب أبى ، ووعدت أن لا تخزىنى ، فما يزال متشبثا به حتى يحوله الله فى صرورة سيئة وريح نقتة فى صرورة ضبع ، فإذا رآه كذلك تبرأ منه وقال لست بأبى » . وفى تفسيره لقوله تعالى : « وهل نجازى الا الكفور » (٢٨٤) : « ان الله تعالى اذا أراد بعبد كرامة تقبل حسناته ، واذا أراد بعبد هوانا أمسك عنه ذنوبه حتى يوافى به يوم القيامة . وذكر لنا أن رجلا بينما هو فى طريق من طرق المدينة اذ مرت به امرأة فاتبعها بصره حتى أتى على حائط فشح وجهه ، فأتى نبي الله (ص) ووجهه يسيل دما ، فقال : يا نبي الله ، فعلت كذا وكذا ، فقال له نبي الله (ص) : «اذا أراد الله بعبد كرامة عجل عقوبة ذنبه فى الدنيا واذا أراد الله بعبد هوانا أمسك عليه ذنبه حتى يوافى به يوم القيامة كأنه غير مبتدأ » .

ومنها هذه القصة التى يحكيها وهو يفسر قوله تعالى : « وما لى لا أعبد الذى فطرنى » (٢٨٥) ، يقول : « هذا رجل دعا قومه الى الله وأبدى لهم النصيحة فقتلوه على ذلك . وذكر لنا أنهم كانوا يرجمونه بالحجارة ، وهو يقول : اللهم اهد قومى ، اللهم اهد قومى ، اللهم اهد قومى حتى أقعصوه وهو كذلك » . وهذه القصة التى يسوقها وهو يفسر قوله تعالى : « سيروا فيها ليلالى وأياما آمنين » (٢٨٦) ، يقول : « لا يخافون ظلما ولا جوعا ، وانما يغدون فيقيلون ، ويروحون فيأتون ، [كانوا] أهل قرية جنة ونهر ، حتى لقد ذكر لنا : أن المرأة كانت تضع مكتلها على رأسها وتمتنن بيدها فيمتلىء مكتلها من الثمر قبل أن ترجع الى أهلها من غير أن تحترف شيئا ، وكان الرجل يسافر لا يحمل معه زادا ولا سقاء مما بسط القوم » .
فهو يسوق لنا هاتين القصتين ليعظنا بهما الأولى تبين مدى استماتة المؤمنين فى الدفاع عن دينهم ، والثانية تبين لنا مدى النعمة التى ينعم بها الله على عباده .

ويحكى لنا فى تفسيره لقوله تعالى : « ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها » (٢٨٧) - قصة وعظية ، يقول : « خرج رجل من القرية الظالمة الى القرية الصالحة فأدركه الموت فى الطريق ، فنأى بمصدره الى القرية

الصالحة ، فاحتجت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأمرُوا أن يقدرُوا اقرب القريتين اليه ، فوجدوه اقرب الى القرية الصالحة بشبر ، وقال بعضهم قرب الله القرية الصالحة فتدبرته ملائكة الرحمة ، ٠٠

وهكذا يسوق لنا قتادة القصص النبوي كأداة مساعدة له في مواعظه ، وكذلك كان يشرح الأمثال القرآنية ويستعين بها كذلك في درسه الوعظي ويدخل بها شيئا من الترويح ، حتى لا يثقل الأمر ، وحتى يجذب النفوس ويحببها الى هذا الدرس الوعظي ، فزراه يشرح المثل في قوله تعالى : « كسر اب ببيعة » (٢٨٨) ، فيقول : « هو مثل ضربه الله لعمل الكافر ، يقول يحسب أنه في شيء كما يحسب هذا السراب ماء ، حتى اذا جاءه لم يجده شيئا ، وكذلك الكافر اذا مات لم يجد عمله شيئا ، ووجد الله عنده فوفاه حسابه ، » ويشرح المثل في قوله تعالى : « أو كظلمات في بحر لجي » (٢٨٩) ، يقول : « اللجي : العميق القعر ، هذا مثل عمل الكافر في ضلالات ليس له مخرج ولا منفذ ، أعمى لا يبصر » ويشرح قوله تعالى : « وان أوهن البيوت لبيوت العنكبوت » (٢٩٠) ، فيقول : « هذا مثل ضربه الله للمشرك مثل الهه الذي يدعوه من دون الله واهن ضعيف لا ينفعه ، » وقوله تعالى : « فانك لا تسمع الموتى » (٢٩١) ، يقول : « هذا مثل ضربه الله للكافر . كما لا يسمع الميت كذلك لا يسمع الكافر ولا ينتفع به ، ولا يسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين لو أن أصما ولى مدبرا ثم ناديته لم يسمع كذلك الكافر لا يسمع ولا ينتفع بما يستمع والله اعلم ، ٠٠٠ وهكذا . »

ولا يقتصر وعظ قتادة عند حد القصص والأمثال ، بل انه يعمل على شرح الآداب الإسلامية في هذا الصدد حتى يمزج وعظه بالثربية والآداب والأخلاق ، فيقول في تفسيره لقوله تعالى : « وقل رب أنزلني منزلا مباركا » (٢٩٢) ، « يعلمكم كيف تقولون اذا ركبتهم وكيف تقولون اذا نزلتم ، اما عند الركوب : فسبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين : وانا الى ربنا لمنقلبون ويسم الله مجراها ومرساها ، وان ربي لغفور رحيم ، » وعند النزول : « رب أنزلني منزلا مباركا وانت خير المنزلين ، » وفي تفسيره لقوله تعالى : « فسلموا على أنفسكم » (٢٩٣) ، يقول : « بيتك اذا دخلته فقل سلام عليكم ، اذا دخلت بيتك فسلم على امك : واذا دخلت بيتا لا احد

فيه فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، فانه كان يؤمن بذلك ، وحدثنا أن الملائكة ترد عليه ، ، وفي تفسيره لقوله تعالى : « حتى تستأنسوا » (٢٩٤) ، يقول : « هو الاستئذان ، وكان يقال الاستئذان ثلاث : فمن لم يؤذن له فيهن فليرجع : أما الأولى فيسمع الحى ، وأما الثانية فيأخذوا حذرهم ، وأما الثالثة فان شاءوا أذنوا وان شاءوا ردوا وهكذا : لا يهمل الأداب الاسلامية فى تفسيره الرعظى .

وهكذا كان التفسير الرعظى عند قتادة يقوم على أساس من التوجيه والارشاد والنصح ، ليس فى قوالب جامدة صماء ، وانما فى اسلوب مؤثر بسيط جميل ، ويقص القصص ويشرح الأمثال ، ويقون النظر بالعمل وبالتربية ، ولا يفصل بين النصح والوعظ وبين بقية شؤون الحياة .

وهكذا ، كان قتادة فى تفسيره الرعظى يرشد الناس وينصحهم ويعظهم « ان الله يعلم القلب النقى ويسمع الصوت الخفى ، كما يقول فى تفسيره لقوله تعالى : « ان نادى ربه نداء خفيا » (٢٩٥) . وانه « ما هذه الأبصار التى فى الرؤوس ، فانها جعلها منفعة وبلغة ، وأما البصر النافع فهو فى القلب » ، وهو يفسر قوله تعالى : « فانها لا تسمى الأبصار » (٢٩٦) ، ويقول فى تفسير قوله تعالى : « الله خير أم ما يشركون » (٢٩٧) ، يقول : « بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم » ، وفى تفسير قوله تعالى : « أفهم الغالبون » (٢٩٨) ، يقول : « ليسرا بغالبين ولكن رسول الله (ص) هو الغالب » ، وفى تفسير قوله تعالى : « وقالوا بعزة فرعون انا لنحن الغالبون » (٢٩٩) يقول : « فوجدوا الله أعزمنه » وهكذا يلقي دروسه الوعظية فى أسلوب بسيط جميل موجز ، يقول قتادة : « اعلما أن السبيل سبيل واحد جماعه الهدى ومصيره الجنة ، وأن ابليس اشترى سبلا متفرقة جماعها الضلالة ومصيرها النار » (٤٠٠) ، والله « لا يستغنى عنه أهل السموات ولا أهل الأرض يحيى ويميت ميتا ويربى صغيرا ويذل كبيرا ويثك أسيرا ويغنى فقيرا . وهو مسأل حاجات الصالحين ومنتهى شكراهم وصريح الاخبار » (٤٠١) .

• (٢٩٥) مريم / ٣

• (٢٩٧) النمل / ٥٩

• (٢٩٩) الشعراء / ٤٤

• (٢٩٤) النور / ٢٧

• (٢٩٦) الحج / ٤٦

• (٢٩٨) الانبياء / ٤٤

• (٤٠٠) انظر تفسيره للاية ١٥٣ / الانعام

• (٤٠١) انظر تفسيره للاية ٢٩ / الرحمن

١٠ - شىء من النظرات العقلية الخاصة :

رغم أن قتادة مفسر سلفى ، وأن تفسيره يقوم على أساس من النقل أو التفهم فى الإطار التقليدى ، الا أننا لا يمكن أن ننفى النظرة الشخصية التى لا بد من وجودها عند كل انسان ، ولا يمكننا أن نجد أثر الذات فى أى عمل تقوم به ، ولقد صادفت فى تفسير قتادة بعض النظرات الخاصة ، التى تنبع من فكره الشخصى والتى تعكس لنا رؤية الخاص فى بعض الأمور بيد أنها قليلة ولا نستطيع أن ندعورها أساسا للتفسير عند قتادة ، بل هى بعض النظرات القليلة ، التى جاءت نتيجة طبيعية للبصمة الذاتية التى لا بد من وجودها عند أى عمل لأى شخص .

فهو يفسر مثلا قوله تعالى « الصور » (٤٠٢) بأنه الخلق وبمعنى الصورة ، وأن النفخ فى الصور هو نفخ فى صور الموتى والأرواح ، وهو تفسير بعيد ، فقد أجمعت آراء المفسرين على أن الصور هو الناقر : أى قرن ينفخ فيه ، كما ورد عن الرسول (ص) حديث شريف يدل على أنه قرن ، وفى هذا الحديث يقول (ص) : « ثم ينفخ فى الصور فلا يسمعه أحد الا أصغى ليता ورفع ليता(٤٠٢) ، وأول من يسمعه رجل يلوط حوض ابله فيصعق ويصعق الناس » (٤٠٤) . فهذا الحديث الشريف اذن يدل دلالة واضحة على أن معنى الصور هو الناقر كما جاء أيضا فى القرآن(٤٠٥) وهو القرن .

ومن ناحية أخرى فلو كان المقصود بالصور هو الصورة ، لكانت الآية « ثم نفخ فيها أخرى » ولكنها قالت : « ثم نفخ فيه أخرى » .

وعلى كل حال ، فان هذا التفسير من قتادة انما يعبر عن وجهة نظر خاصة به ، وهو الأمر الذى كنا لا نحسب وقوعه فى التفاسير السلفية وخاصة المبكرة منها مثل هذا التفسير .

ومن هذه النظرات الخاصة أيضا تفسيره لقوله تعالى : « تخرج الحى من الميت وتخرج الميت من الحى » (٤٠٦) « قال قتادة : « تخرج الحى

(٤٠٢) النمل/ ٨٧ ، والنبا/ ١٨ ، والانعام ٧٣ .

(٤٠٤) القرطبي/ ٧/ ٢٠

(٤٠٣) الليت : صفحة العنق .

(٤٠٦) اله عمران/ ٢٧ .

(٤٠٥) انظر - المدثر/ ٨ .

من هذه النطفة الميتة ، وتخرج هذه النطفة الميتة من الحي ، « وفي رواية ثانية يقبل : « يعنى المؤمن من الكافر والكافر من المؤمن والمؤمن عبد حى الفؤاد والكافر عبد ميت الفؤاد » ، ويقول فى رواية ثالثة رواها له القرطبى بالمعنى « يشق النواة الميتة فيخرج منها ورقا أخضر وكذلك الحبة : ويخرج من الورق الأخضر نواة ميتة وحبة » . وكلها اجتهادات عقلية صحيحة .

ومن نظراته الخاصة كذلك ما كان يراه من أن هذه الآية خاصة لشىء معين أو لقوم بعينهم وليست عامة ، وفكرة التخصيص والتعميم ، فكرة تقوم أساسا على النظرة العقلية للنص ، ومن ذلك مثلا ما نراه عند تفسيره لقوله تعالى : « لا اكراه فى الدين » (٤٠٧) ، يقول : « أكره عليه هذا الحى من العرب لأنهم كانوا أمة أمية ليس لهم كتاب يعرفونه فلم يقبل منهم غير الاسلام . ولا يكره عليه أهل الكتاب اذا أقرؤا بالجزية أو بالخراج ولم يفتنوا عن دينهم فيخلى عنهم » . فقد رأى أن الاكراه لم يكن الا للعرب وذلك لأمتيهم وأما أهل الكتاب فلا ، فهم أصحاب كتاب وطالما يؤدون الجزية يتمسكون بكتابهم .

وعند تفسيره لقوله تعالى : « اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الأدبار » (٤٠٨) : يرى أن الفرار يوم الزحف مخصوص بيوم بدر وليس عاما ، وذلك لأنه لم يكن لهم أن ينحازوا ، ولما انحازوا لانحازوا للمشركين ، ولم يكن فى الأرض يومئذ مسلمون غيرهم ولا للاسلميين ثقة الا النبى (ص) .

وعند تفسيره لقوله تعالى : « فذلك نجزيه جهنم كذلك الظالمين » (٤٠٩) ، يرى أن هذه الآية خاصة لعدى الله ابليس ، يقول قتادة : « وانما كانت هذه الآية خاصة لعدى الله ابليس لما قال ما قال لعنه الله وجعله رجيبا .

وهكذا نجد عند قتادة كثيرا من الآيات التى يفسرها بفكره الخاص الا أنها مقيّدة باطار القرآن والروح العامة لاسلام ، اللهم الا قليلا من العقلية الخاصة كما عرضنا بعضها منها فيما سبق ، ومنها أيضا ما يراه من أن الصدقة العلنية مقبولة طالما كانت النية صادقة (٤١٠) ، وأن تعفف

• (٤٠٧) البقرة/ ٢٥٦

• (٤٠٨) الانفال/ ١٥

• (٤٠٩) الانبياء/ ٢٩

• (٤١٠) انظر تفسيره للآية/ ٢٧١ البقرة

الفغير : ترك مسألة الناس(٤١١) ، وأن تبديل الله سيئاتهم حسنات هو طاعة الله بعد عصيانه وذكره بعد نسيانه والخير بعد الشر(٤١٢) ، وأن الأمانة هي الدين والفرائض والحدود (٢١٤) ، وأن تؤول القرآن : التأليف(٤١٤) ، وأن قوله تعالى : « فلا تكن في مريّة من لقائه(٤١٥) » ، يعني به ليلة الاسراء ، ولقتادة أيضا بعض التفسيرات التي يمكن أن تعتبر كمصطلحات فكرية له ، ومنها مثلا أن « الحق » هو كتاب الله القرآن(٤١٦) ، وأن « الباطل » هو ابليس(٤١٧) وأن « المثل الأعلى »(٤١٨) شهادة أن لا اله الا الله ، والباقيات الصالحات(٤١٩) : « لا اله الا الله والله أكبر والحمد لله وسبحان الله » .

هذه الأفكار الخاصة كلها تدور داخل اطار الاسلام وتتشعب بروح القرآن ، ما عدا القليل جدا منها: كما رأينا في تفسيره للصور مثلا .

وعلى كل حال فقتادة مفسر سلفي ، ولا يمكن أن تجعل منه هذه النظرات الفكرية الخاصة مفسرا بالرأى أبدا ، فلقد كان قتادة متمسكا أشد التمسك بالسلفية في التفسير والبعد عن الرأى ، يقول قتادة : « ما أفقت بشيء من رأى منذ عشرين سنة »(٤٢٠) وفي رواية أخرى يقول أبو هلال : « سألت قتادة عن مسألة : فقال : لا أدرى ، فقلت : قل برأىك ، قال : ما قلت برأى منذ أربعين سنة »(٤٢١) ، وسأل معمر قتادة عن الذين « قالوا يا ويلنا انا كنا طاغين . عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها انا الى ربنا راغبون »(٤٢٢) : أمن أهل الجنة هم أم من أهل النار ؟ فقال قتادة : « لقد كلفتنى تعباً » .

• (٤١١) انظر تفسيره للاية ٢٧٣/البقرة

• (٤١٢) انظر تفسيره للاية/٧٠ الفرقان

• (٤١٣) انظر تفسيره للاية ٧٢/الاحزاب

• (٤١٤) انظر تفسيره للاية ١٧/ القيامة

• (٤١٥) السجدة/٢٣

• (٤١٦) الانبياء/١٨

• (٤١٧) الانبياء/١٨

• (٤١٨) الروم/٢٧

• (٤١٩) الكهف/٤٦

• (٤٢٠) الداوودي/٢/٤٤ ، الجرح والتعديل ق ٢ م ٣ ص ١٢٤ ، تنكرة الحناظ/١٠٩ .

• (٤٢١) ابن سعد ح ٧ ق ٢ ص ١

• (٤٢٢) القلم/٢١ ، ٢٢ .

وقصة قتادة مع المعتزلة مشهورة ، فقد اعتزل قتادة المعتزلة بل يقال انه هو الذى سماهم بهذا الأسم ، يحكى طاش كبرى زادة : يقال ان الذى سماهم بهذا قتادة بن دعامة السدوسى ٠٠٠ دخل مسجد البصرة فاذا بعمرور ابن عبيد ونفر معه فأمهم وهو يظن أنها حلقة الحسن البصرى ، فلما عرف أنها ليست هى ، فقال انما هؤلاء المعتزلة ، قام منهم ، فمن يومئذ سموا المعتزلة ، (٤٢٣) .

فقد نأى قتادة عن هذه المزالق ، ويحكى تلميذه شيبان النحوى فيقول: « والسموات مطويات بيمينه » (٤٢٤) ، لم يفسرها قتادة ، فلم يخض قتادة فى أية مشاكل من هذا النوع ، فقد بعد بعدا شديدا من تفسير آيات للذات والصفات ، ولم نجد فى تفسيره أية إشارة قط فى هذا الموضوع ، فقد كان قتادة يتجنب المزالق ، ونراه مثلا فى تفسيره لقوله تعالى : « فنأداها من تحتها » (٤٢٥) ، يقول : « أى من تحت النخلة » ، فهو اذن لم يخض فى الأمور الغيبية التى قد تورد مراردا الهلاك ، وهو كان يرى أن المحكم هو الناسخ وأن المتشابه هو المنسوخ ، رأى سلفى واضح ، ويرى أن المحكم هو الذى يعمل به وأن والمتشابه لا يعمل به مع الايمان به لأنه من عند الله ، كذلك فهو يرى أن المحكم هو الحلال والحرام (٤٢٦) . هذا الرأى لقتادة فى مسألة المحكم والمتشابه هو رأى سلفى ، نادى به كذلك عكرمة والضحاك وابن عباس (٤٢٧) . فقتادة مفسر سلفى يقتفى أثر السلف الصالح ويقتدى بهم ويسير على منوالهم .

حتى وان وجدنا لقتادة رأيا فى الحروف المقطعة التى فى أول السور انها من أسماء القرآن . ما عدا « طه » التى فسرها بأنها « يا رجل » بالمريانية ، و « نون » التى قال « هو الدواء » فهو ايضا لا يخرج عن الدائرة السلفية التى تحتوى فى داخلها هذه الآراء لمفسرين سلفيين آخرين .

• (٤٢٣) مصباح السعادة ١٦٢/٢ : ١٦٢

• (٤٢٤) الزمرد/ ٦٧

• (٤٢٥) مرهم/ ٢٤

• (٤٢٦) راجع تفسير قتادة للآية ٧ من سورة آل عمران

• (٤٢٧) الاتقان ٣-٢/٢

فالنظرات العقلية التفسيرية لقيادة ليس فيها أى اعمال عقلى فلسفى ، وانما هو صهور اسلامى حنيف بسيط ، فهو مثلاً عندما يفسر قوله تعالى : « هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء » (٤٢٨) ، يوضح لنا مشيئة الله المطلقة فى تصويره لعباده فيقول : « قادر والله ربنا أن يصور عباده فى الأرحام كيف يشاء من ذكر أو أنثى ، أو أسود أو أحمر ، تام خلقه وغير تام » فهو يرى أن الانسان لا يجعل من نفسه ذكراً وأنثى ، ولا أسود اللون أو أحمره ، ولا يستطيع الانسان أن يخلق نفسه جميلاً ولا دميماً أو تام الخلقه أو غير تام ، فهذا الامر كله لا يرجع الا لله وحده ، فالله هو الأوصد الذى توجع اليه كل الأمور ، هذا التأثير بالقدر متأثر اسلامى ، ليس فيه الحكمة العقلية الفلسفية المعقدة وانما هو انسياب اسلامى واضح وبسيط ، و « والله ما رضى الله لعباده ضلالة ولا أمر بها ولا دبعاً اليها ، ولكن رضى لكم طاعته وأمركم بها ونهاكم عن معصيته » (٤٢٩) ، وعندما قتل موسى الرجل القبطى ، « عرف المخرج » كما يقول قتادة ، فهتف موسى : « رب انى ظلمت نفسى - فاغفر لى فغفر لى » (٤٣٠) ، فقد « عرف نبي الله عليه السلام من أين المخرج ، فراد المخرج فلم يلقى ذنبه على ربه » كما يقول قتادة .

ويمكن أن نعتبر بعض هذه النظرات الفكرية الخاصة القليلة والتي تناثرت فى تفسير قتادة ، بأنها سقطت له خلال احتكاكه بأستاذه الحسن البصرى ، فهو متأثر به لا شك ، وان كان متأثراً ضئيلاً .

ولقد كان قتادة دائماً الرجل المسلم المؤمن الثقى ، وما هو يهاجم المنجمين المحتالين الذين يتخرصون ويكذبون ، ويستعملون رأيهم وهو اهمرياء وكذبا ، يقول : « انما جعل الله هذه النجوم لثلاث خصال : جعلها زينة للسماء ، وجعلها يهتدى بها ، وجعلها رجوما » وهو هنا يلتزم بمعلومات ومعانى القرآن الكريم ، قال تعالى فى كتابه الكريم : انا، زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب » (٤٣١) ، « وقال عز وجل : « وعلامات وبالنجم هم يهتدون » (٤٣٢) ، وقال تبارك وتعالى : « وهو الذى جعل لكم النجوم لتهتدوا

(٤٢٨) آل عمران/ ٦

(٤٢٩) انظر تفسير قتادة للآية ٧ من سورة الزمر .

(٤٣٠) القصص/ ١٦

(٤٣١) الصافات/ ٦

(٤٣٢) النحل/ ١٦

بها فى ظلمات البر والبحر» (٤٢٣) ، «قال تعالى « الا من استرق السمع فأتبعه شهاب مبين» (٤٢٤) ، وقال عز وجل : « الا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب» (٤٢٥) .

ويخصى سادة فيلون : ، فمن تعطلى ذبيها غير ذلك . فقد قال برأيه وأخطأ حظه وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به ، وان ناسا جهلة بأمر الله قد أحدثوا من هذه النجوم كهانة : ومن أعرس بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن سافر بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا ، ومن ولد بنجم كذا وكذا كان كذا وكذا . ولعمري ما من نجم الا يولد به الأخضر والأسود والقصير والطويل والحسن والدميم وما علم هذا النجم وهذه الدابة وهذا الطير بشيء من الغيب ، وذى أنه أنه لا يعلم من فى السموات الأرض الغيب الا الله وما يشعرون أيا ن بيعثون «(٤٢٦) .

قال ابن أبى حاتم : « هو كلام جليل متين واضح » (٤٢٧) .

وكذلك هاجم قتادة الخوارج الحرورية وهاجم الشيعة السبئية هجوما عنيفا . لشطحانهم ومخارقتهم . فما هم فى الأرض ، فقال قتادة وهو يفسر قرله تعالى : « فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة » (٤٢٨) : « ان لم يكونوا الحرورية والسبئية فلا أدرى من هم ، ولعمري . لقد كان فى أهل بدر والحديبية الذين شهدوا مع الرسول (ص) بيعة الرضوان من المهاجرين والأنصار خبر لمن استخبر وعبرة لمن استعبر ، لمن كان يعقل أو يبصر . ان الخوارج قد خرجوا وأصحاب رسول الله (ص) يومئذ كثير بالمدينة والشام والعراق ، وأزواجه يومئذ أحياء ، والله ان خرج منهم ذكر ولا أنثى حروريا قط ، ولا رضوا الذى عم عليه ولا مالاوهم . فيه ، بل كانوا يحدثون بعيب رسول الله (ص) اياهم ونعته الذى نعتهم به ، وكانوا يبغضونهم بقلوبهم ، ويعادونهم بألسنتهم ، وتشتد والله عليهم

• (٢٢٣) الانعام/٩٧

• (٤٢٤) الحجر/١٨

• (٤٢٥) الصافات/١٠

(٤٢٦) انظر تفسير قتادة للآية ٦٥ النمل « قل لا يعلم من فى السموات والارض

الغيب الا الله »

• (٤٢٧) تفسير ابن كثير ٢/٦/٦

• (٤٢٨) آل عمران / ٧

أيديهم إذا لقوهم ولعمري ، لو كان أمر الخوارج هدى لاجتمع ، ولكنه كان ضلالا ففترق ، وكذلك الأمر إذا كان من عند غير الله ، وجدت فيه اختلافا كثيرا ، فقد أوصوا (٤٢٩) هذا الأمر منذ زمان طويل ، فهل أفلحوا فيه يوما أو أنجحوا ؟ يا سبحان الله ! كيف لا يعتبر آخر هؤلاء القوم بأولهم ، لو كانوا على هدى قد أظهره الله وأفلجه ونصره ، ولكنهم كانوا على باطل أكذبه الله وأدحضه ، فهم كما رأيتهم كلما خرج لهم قرن أدحض الله حجتهم وأكذب أجدوثهم وأهراق دماءهم ، وإن كتموا كان قرحا فى قلوبهم وعمى عليهم ، وإن أظهره أهراق الله دماءهم . ذلكم والله دين سوء ، فاجتنبوه . والله إن اليهودية لبدعة ، وإن النصرانية لبدعة وإن الحرورية لبدعة ، وإن السبائية لبدعة ، ما نزل بهن كتاب ، ولا سنهن نبي ، .

لقد طلب القوم التويل فأخطأوا التأويل ، وأصابوا الفتنة فاتبعوا ما تشابه منه ، فهلكوا من ذلك ، .



خلاصة عامة لمنهج فتادة فى التفسير وخصائصه :

وهكذا يتكشف لنا أن تفسير فتادة هو تفسير سلفى بحت ، ينسج على النوال الاسلامى ، فيستعين بالقرآن ليفسر به القرآن ، ويستعين بأحاديث الرسول الشريفة ، كما يستعين كذلك بأقوال الصحابة وكبار التابعين ، وهو فى استعانته بالقرآن الكريم ، يقرن الآيات التى تتحدث عن موضوع واحد ، حتى يوفر لتفسيره الوحدة العضوية المطلوبة ويربط بين هذه الآيات المتفقة برباط قوى من التوضيح والشرح ، ويأتى بالمعانى التى تبدو وكأنها تكمل كل منها الأخرى وتنمها ، كما يحصر المعانى المتفقة فى موضوع واحد ، وكذلك ينبه على أوجه الاتفاق وأوجه الاختلاف ، ويفطن للآيات المتفقة فى الأسلوب والمنظم .

أما عندما يستعين بالحديث فهو أحيانا يأتى به كاملا وأحيانا يأتى به مختصرا ، وأحيانا يأتى بمعناه ولا يلتزم بلفظه ، وأحيانا يأتى بجزء منه هو ما يحتاجه فى التفسير ، كما وجدنا عنده كذلك بعض الأحاديث القدسية .

أما من ناحية السند . فهو قليلا ما يذكر السند ، وقد تحدثنا عن هذه المسألة فى ترجمته ووضحناها .

ولقد رأينا قتادة يأتى فى تفسيره بحشد ضخم من أقوال الصحابة وكبار التابعين ليستعين بها فى التفسير والتوضيح ، ورأينا كيف أن كثيرا من مروياته هذه فيها المرسل والمنقطع والمعضل الا انه كان ثقة واحتج به أرباب الصحاح . كذلك عرفنا ان قتادة كان يأتى بهذه المرويات المأثورة أحيانا لتفسير الآية وأحيانا لمجرد الاستشهاد والتقوية ، وأحيانا كمادة للطرافة .

ودرسنا اختيار قتادة فى القراءات وكيف كان أحيانا يتابع الجمهور وأحيانا يقول بقراءة خاصة أو شاذة ، ورأينا أن هذه القراءات التى اختارها قتادة اما أن تكون للظاهر من معنى الآية ، أو لأمر لغوى، أو متابعة للمدرسة البصريه ، أو على أساس مراعاة المعنى فى المقام الأول ، أو اختلاف شكلى مع الاتفاق فى المعنى مع الجمهور ، وأحيانا تبدو مخرجة لوجه بعيد ، كما استعان قتادة قتادة أيضا بقراءات أخرى لغيره ، وخاصة أبى بن كعب وابن مسعود .

وكانت نظرات قتادة الفقهية تتبع المنهج الإسلامى أيضا من الأخذ بالقرآن فالحديث فقول الصحابى، ورأينا أن نظراته الفقهية مجرد نظرات وليست منهجا أو مدرسة ، وأنها كذلك نظرات تأخذ بالظاهر كما تستوحى الآية أو الحديث الشريف ، كما وجدنا عنده شيئا من التدقيق العقلى ، وان كان يقف بنظراته الفقهية عند حد الزمن الذى عاشه وقليلا جدا ما وسع من هذه الدائرة .

وكان قتادة أيضا يستعين فى تفسيره بتوضيح الناسخ والمنسوخ ، وقد ناقشنا مجموعة من الدعاوى التى رفعها بالنسخ وخرجنا منها بأنه كان مغاليا فيها ، كسمة من سمات عصره فى هذا الموضوع .

وفى منهجه التاريخى فى التفسير كان قتادة يهتم بسبب النزول وكان يأتى برأى واحد فى ذلك ولا يعقب عليه أو يدرسه اللهم الا ما كان من التنبيه على مكة السور أو الآيات ومدنيتها .

وكان كذلك يهتم بأحداث السيرة وعادات العرب وأحوالهم وبالتاريخ القديم والديانات والنحل القديمة ، وهو فى عرضه لذلك كله يكشف عن

ثقافة واسعة والملم كبير ، ولكننا اخذنا عليه منه لا يهتم الا بمجرد الذكر
والسرد دونما تعليق أو تعقيب .

ولم يسلم تفسير قتادة من الاسرائيليات مثله فى ذلك مثل سائر
التفاسير القديمة ، وكيف يهتم بالتحديدات الاسمية للأعلام والأماكن
الأهداه .

واهتم قتادة بالمواعظ والنصائح فى تفسيره ، وكان يسوقها فى ثوب
جميل ، ويستعين بالقصص وشرح الأمثال والتنبيه على الآداب الاسلامية
ويقرن الوعظ بشئون الحياة .

أما التفسير اللفظى عنده فقد ضرب فيه بسهم وافر .

كما لا حظنا شيئا من النظرات العقلية الخاصة عند قتادة الا انها
تدور فى نفس الدائرة السلفية ، ولا تخرج عنها الا قليلا فقد كان قتادة
معتزا بالأسلوب السلفى ، وهاجم الخوارج والشيعية واعتزل المعتزلة وتجنب
الخوض فى المنتشابه وما الى ذلك .

كان مفهوم قتادة هو منهج الغالبية العظمى من مفسرى عصره ، من
التزام الروح القرآنى والتحرك داخل اطار الاسلام ، وعدم الخوض فى
المزلق ، وبذا يعتبر تفسير قتادة تفسيرا سلفيا واضحا ، رغم وجود
البصمة الذاتية له والتي لا يد من وجودها ، لتدل على أصالته وعلمه
وتقواه ، رحمه الله وجعل الجنة مثواه .

و لله الحمد والمآة

عبد الله أبو السعود بدر

ثبت المصادر

- ١ - الاتقان فى علوم القرآن - للسيوطى (٩١١ هـ) - طبعة الحلبي - الطبعة الثالثة ١٣٧٠هـ / ١٩٥١ م .
- ٢ - اختصار علوم الحديث - لابن كثير (٧٧٤ هـ) - مطبعة محمد على صبيح ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م .
- ٣ - أسباب النزول - للواحدى - مصر ١٣٠٥ هـ .
- ٤ - الاشتقاق - لأبى دريد (٣٢١ هـ) - تحقيق عبد السلام هارون - مطبعة الخانجى ١٩٥٨ .
- ٥ - الأعلام - لخير الدين الزركلى (١٩٧٨ م) - المطبعة العربية بمصر ١٣٤٦ هـ / ١٩٢٧ م .
- ٦ - ألف باء - للبلوى ، يوسف بن محمد - بولاق ١٢٨٧ هـ .
- ٧ - انباه الرواة على أنباه النحاة - للمقفى - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م .
- ٨ - الانساب - للسمعانى (٥٦٢ هـ) - نشرة مرجليوث تصويراً عن مخطوط .
- ٩ - البداية والنهاية - لابن كثير (٧٧٤ هـ) - مطبعة السعادة بمصر .
- ١٠ - تاريخ ابن الوردي (٧٤٩ هـ) - المطبعة الحيدرية - النجف - الطبعة الثانية ١٣٨٩ هـ / ١٩٦٩ م .
- ١١ - تاريخ التراث العربى - لفؤاد سزجين - ترجمة د . فهمى أبو الفضل ، وراجعه د . محمود فهمى حجازى - طبع الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر - القاهرة ١٩٧١ م .
- ١٢ - التاريخ الكبير - للبخارى - طبع حيدر آباد الدكن ١٣٦٠ هـ .
- ١٣ - تاريخ واسط - لأسلم بن شهر الرزاز الواسطى المعروف ببخشل (٢٩٢ هـ) تحقيق كوركيس عواد - مطبعة المعارف ببغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- ١٤ - تبصير المنتبه بتحرير المشتبه - لابن حجر العسقلانى (٨٥٢ هـ) تحقيق محمد على النجار - وعلى محمد البجاوى - طبعة مصر ١٩٦٧ م .
- ١٥ - تحفة ذرى الارب - لابن خطيب الدهشة - ليدن ١٩٠٥ م .
- ١٦ - تدريب الراوى فى شرح تقريب النواوى - للسيوطى (٩١١ هـ) - تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف - مطبعة السعادة بمصر - الطبعة الثانية ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦ م .

- ١٧ - تذكرة الحفاظ - للذهبي (٧٤٨ هـ) - طبعة حيدر آباد الدكن ١٨٩٧ م .
- ١٨ - تفسير القرآن العظيم - لابن كثير (٧٧٤ هـ) - تحقيق عبد العزيز غنيم ، ومحمد أحمد عاشور ، ومحمد ابراهيم البنا - مطبعة دار الشعب بمصر .
- ١٩ - تهذيب الاسماء واللغات - لأبى زكريا محبى الدين بن شرف النوى (٦٧٦ هـ) - طبعة بيروت - لبنان .
- ٢٠ - تهذيب التهذيب - لابن حجر العسقلانى (٨٥٢ هـ) - الطبعة الاولى مطبعة دائرة المعارف النظامية - حيدر آباد الركن - الهند ١٣٢٦ هـ
- ٢١ - جامع البيان عن تأويل القرآن - لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى (٣١٠ هـ) - تحقيق محمود محمد شاكر وأحمد محمد شاكر - دار المعارف بمصر .
- ٢٢ - الجامع الصحيح - سنن الترمذى - لأبى عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذى (٢٩٧ هـ) - تحقيق محمد ابراهيم عطوة عوض - طبعة الحلبي - الطبعة الاولى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ٢٣ - الجامع لأحكام القرآن - لأبى عبد الله محمد بن أحمد الانصارى القرطبي (٦٧١ هـ) طبعة دار القلم ١٨٨٦ هـ / ١٩٦٦ م - الطبعة الثالثة عن طبعة دار الكتب المصرية .
- ٢٤ - الجرح والتعديل - لابن أبى حاتم (٣٢٧ هـ) الطبعة الاولى - حيدر آباد الدكن ١٣٦١ هـ .
- ٢٥ - جمهرة أنساب العرب - لابن حزم الاندلسى (٤٥٦ هـ) - تحقيق عبد السلام هارون - دار المعارف بمصر ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م .
- ٢٦ - خلاصة تهذيب الكمال فى أسماء الرجال - لصفى الدين أحمد بن عبد الله الخرزجى - المطبعة الخيرية بمصر - الطبعة الاولى ١٣٢٢ هـ
- ٢٧ - الدر المنثور فى التفسير بالمأثور - للسيوطى - المطبعة الاسلامية بطهران ١٣٧٧ هـ .
- ٢٨ - ديوان امرئ القيس - تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ١٩٦٤ م .
- ٢٩ - السيرة النبوية - لابن هشام - تحقيق مصطفى السقا ، و ابراهيم الايبارى ، وعبد الحفيظ شلبى - طبعة مصطفى الحلبي - الطبعة الثانية ١٣٧٥ هـ / ١٩٥٥ م .
- ٣٠ - شذرات الذهب فى أخبار من ذهب - لابن العماد الحنبلى (١٠٨٩ هـ) - المكتب التجارى للطباعة والنشر ببيروت .

- ٢١ - شرح ما يقع فيه التصحيف والتحريف - لأبى أحمد الحسين بن عبد الله بن سعيد العسكري (٢٨ هـ) - تحقيق عبد العزيز أحمد .
طبعة الحلبي - الطبعة الاولى ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٣ م .
- ٢٢ - صحيح مسلم - طبعة دار الشعب .
- ٢٣ - طبقات الحفاظ - للسيوطي (٩١١ هـ) - تحقيق على محمد عمر - مكتبة وهبة - الطبعة الاولى ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .
- ٢٤ - طبقات فحول الشعراء - لحمد بن سلام الجمحي (٢٢١ هـ) - تحقيق محمود محمد شاكر - مطبعة المدني بالقاهرة .
- ٢٥ - الطبقات الكبرى - لحمد بن سعد - دار التحرير - مصر .
- ٢٦ - طبقات المدلسين - لابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) - المطبعة المحمودية .
- ٢٧ - طبقات المفسرين - للداوودي (٩٤٥ هـ) تحقيق على محمد عمر - الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م مركز تحقيق التراث بدار الكتب المصرية .
- ٢٨ - طبقات المفسرين - للسيوطي (٩١١ هـ) - تحقيق ا . ميرسنج - طبعة ليدن ١٨٣٩ م ، صورته طهران ١٩٦٠ م .
- ٢٩ - العبر في خبر من غبر - للذهبي (٧٤٨ هـ) - تحقيق د . صلاح الدين المنجد - سلسلة التراث العربي بالكويت ١٩٦٠ م .
- ٤٠ - عجالة المبتدئ وفضالة المنتهى في النسيان - لأبى بكر محمد بن العثمان الحازمي الهمداني (٥٨٤ هـ) تحقيق عبد الله كنون - المطبعة الأميرية بمصر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م .
- ٤٠ - عجالة المبتدئ وفضالة المنتهى في النسب - لأبى بكر محمد بن العثمان الحازمي الهمداني (٥٨٤ هـ) تحقيق عبد الله كنون - المطبعة الاميرية بمصر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م .
- ٤١ - العقد الفريد - لابن عبد ربه (٣٢٧ هـ) - تحقيق أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الابيارى - طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٥ م .
- ٤٢ - العلل - لعلى بن عبد الله بن جعفر السعدي المديني - تحقيق محمد مصطفى الاعظمي - المكتب الاسلامي بدمشق ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .
- ٤٣ - غاية النهاية في طبقات القراء - لشمس الدين بى الخير محمد بن محمد بن الجزري (٨٣٣ هـ) - نشرة ج . برجستراسر - طبعة الخانجي بمصر ١٣٥١ هـ / ١٩٣٢ م .
- ٤٤ - الفتاوى الكبرى لابن تيمية - أبى العباس تقي الدين أحمد بن

- عبد الحلیم (٦٨٢ هـ) - تحقیق حسنین محمد مخلوف - طبعة دار المعرفة للطباعة والنشر بیروت لبنان ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .
- ٤٥ - فهرس مخطوطات دار الكتب الظاهرية - وضعه عزت حسن - حسن - دمشق ١٣٨١ هـ / ١٩٦٢ م مطبوعات المجمع العلمی العربی .
- ٤٦ - الكامل فی التاريخ - لابن الاثیر - المطبعة الازهرية بمصر - الطبعة الاولى ١٣٠١ هـ .
- ٤٧ - كتاب الطبقات - لابی عمرو خليفة بن خیاط بن شباب العسقری (٢٤٠ هـ) - تحقیق اكرام ضیاء العمری - الطبعة الاولى بغداد ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- ٤٨ - الكنى والأسماء - للدولابی (٣١٠ هـ) - الطبعة لاولی - حيدر آباد الدکن ١٣٢٢ هـ .
- ٤٩ - اللباب فی تهذیب الانساب - لعز الدين بن الأثیر (٦٣٠ هـ) - مكتبة حسام الدين القدسی - القاهرة ١٣٨٦ هـ .
- ٥٠ - لسان العرب - لابن منظور جمال الدين محمد بن مکرم الانصارى (٧١١ هـ) .
- ٥١ - مجاز القرآن - لأبى عبیده معمر بن المثنى (٢١٠ هـ) - تحقیق د . محمد فؤاد سزکین - الطبقة الاولى - الخانجی بمصر ١٩٥٤ م .
- ٥٢ - المجتبى - سنن النسائى - المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٢ هـ .
- ٥٣ - مختار الصحاح - للجوهري .
- ٥٤ - مرآة الجنان - للیافعى الیمنى المکى (٧٦٨ هـ) - منشورات الاعلمی لمطبوعات - بیروت - لبنان .
- ٥٤ - المراسیل فی الحدیث - لابن أبى حاتم (٣٢٧ هـ) - طبعة بغداد ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٧ م .
- ٥٥ - الزهر فی علوم اللغة - للسيوطی - تحقیق محمد أحمد جاد المولى وعلى محمد البجاوى ، ومحمد أبو الفضل - طبعة عيسى الحلبي .
- ٥٦ - مشکاة المصابیح - لولى الدين محمد بن عبد الله الخطيب العمرى الثبريزى - تحقیق محمد ناصر الدين الالبانى - دمشق ١٣٨٢ هـ / ١٩٦٢ م .
- ٥٧ - معجم الادیاء - لیاقوت الحموی - طبعة دار المأمون ١٩٣٦ م .
- ٥٨ - معرفة علوم الحدیث - للامام الحاکم أبى عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ النيسابورى (٤٠٥ هـ) - تحقیق د . السيد معظم حسین - منشورات المكتب التجارى للطباعة والتوزيع والنشر - بیروت .

- ٥٩ - المغنى فى الضعفاء - للذهبي (٧٤٨ هـ) تحقيق د . نور الدين عتر
- دار المعارف بحلب - سوريا - الطبعة الاولى ١٣٩١ هـ / ١٩٧١ م .
- ٦٠ - مصنف عبد الرزاق بن همام الصنعاني (١٢٦ - ٢١١ هـ) - تحقيق
حبيب الرحمن الاعظمي - نشر المجلس العلمى (سملك ، سورت -
الهند) الطبعة الاولى ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م .
- ٦١ - مفتاح السعادة ومصباح السيادة - لأحمد بن مصطفى طاش كبرى
زادة (٩٦٨ هـ) تحقيق كامل بكري وعبد الوهاب أبو النور - مطبعة
الاستقلال الكبرى بمصر ١٩٦٨ م .
- ٦٢ - المفضليات - للمفضل الضبي - تحقيق أحمد محمد شاكر . وعبد
السلام هارون - الطبعة الثالثة - دار التعاون بمصر ١٩٦٤ م .
- ٦٣ - الملل والنحل - للشهرستاني (٥٤٨ هـ) - تحقيق محمد سيد كيلاني -
طبعة مصطفى الحلبي ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .
- ٦٤ - الموشح - للمرزبانى (٣٨٤ هـ) - الطبعة السلفية بالقاهرة ١٣٤٢ هـ .
- ٦٥ - ميزان الاعتدال فى نقد الرجال - للذهبي (٧٤٨ هـ) - تحقيق على
محمد البجاوى - طبعة الحلبي ١٣٢٥ هـ .
- ٦٦ - الناسخ والمنسوخ - لأبى جعفر النحاس - مصر ١٣٢٢ هـ .
- ٦٧ - النجوم الزاهرة - لابن تغرى بردى (٨٧٤ هـ) - نسخة مصورة عن
دار الكتب المصرية - صورتها وزارة الثقافة والارشاد بمصر .
- ٦٨ - نكت الهميان فى نكت الهميان - لصلاح الدين خليل بن بريك الصنفدى
- ذخيرة أحمد زكى - الطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩ / ١٩١١ م .
- ٦٩ - هدية العارفين فى أسماء المؤلفين وآثار المصنفين - لاسماعيل باشا
البغدادى - طبعة استانبول ١٩٥١ م .
- ٧٠ - واضح البرهان - لأبى الفضل عبد الله بن محمد بن الصديق الحسن
الادريسي - مكتبة القاهرة ١٩٧٢ م .
- ٧١ - وفيات الأعيان - لابن خلكان - تحقيق محمد محيد الدين عبد الحميد
- مطبعة النهضة المصرية ١٩٤٨ م .
- ٧٢ - مجلة الجمعية الالمانية للدراسات الشرقية :

